المحاضرة الأولى

مفهوم الاستشراق.

نشأة الاستشراق وتاريخه

•ما هو الشرق وما هو الغرب:

(التقسيم الجغرافي)

-كل ما هو شرقي البحر المتوسط شرق.

- كل ما هو غربي البحر المتوسط غرب.

-هذا التقسيم نسبي لآن هناك ما هو شرقي وموجود في الغرب. مثل جزء كبير من تركيا.

-وهناك كذلك ما هو غربي وموجود في الشرق. مثل استراليا وجنوب افريقيا.

ب- التقسيم الحضاري للشرق والغرب:

-الغرب عند أغلب المستشرقين وبعض الشرقيين يدل على المدنية الحديثة بكل وسائلها المعتمدة على العلم والتقنية والحرية وإعلاء قيم حقوق الإنسان.

-الشرق عند هؤلاء يدل على الظلم والاستبداد والجهل ، أو يدل على الحضارات القديمة مثل الحضارة الفرعونية والهندية والصينية.

ج- تعريف مصطلحات (استشراق- مستشرق):

-الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي.

-وكلمة مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله: أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه.

-ولكننا هنا لا نقصد هذا المفهوم الواسع، وإنما كل ما يعنينا هنا

-المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الذي يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام . وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق، وهو الشائع أيضاً في كتابات المستشرقين المعنيين.

أ- الاستشراق الكنسي (الرسمي)

-من الصعب تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق أو معرفة من هو أول غربي اهتم بدراسة علوم الشرق.

-الغرب المسيحي يؤرخ لبدء وجود (الاستشراق الرسمي) بصدور قرار مجمع (فيينا) الكنسي في عام ١٣١٢م الذي يقضي بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية.

-الإشارة هنا إلى (الاستشراق الكنسي) تدل على أنه كان هناك استشراق غير رسمي قبل هذا التاريخ.

-تتجه المحاولات في هذا الصدد لا إلى تحديد سنة معينة لبداية الاستشراق، وإنما إلى تحديد فترة زمنية معينة على وجه التقريب يمكن أن تعد بداية للاستشراق.

-الانتشار السريع للإسلام في المشرق والمغرب قد لفت بقوة أنظار رجالات اللاهوت النصراني إلى هذا الدين . ومن هنا بدأ اهتمامهم بالإسلام ودراسته .

ب- المستشرقون من أهل المشرق:

-من بين العلماء النصارى الذين أظهروا في وقت مبكر اهتماماً بدراسة الإسلام - لا من أجل اعتناقه، وإنما من أجل حماية إخوانهم النصارى منه - كان العالم النصراني يوحنا الدمشقي ٥٩- ١٣٢هـ (٦٧٦- ٧٤٩م). ومن بين مصنفاته في هذا الصدد لإخوانه في الدين كتاب (محاورة مع مسلم) وكتاب (إرشادات النصارى في جدل المسلمين).

-ولكننا لا نستطيع أن نعد مثل هذه المحاولات بداية للاستشراق. فيوحنا الدمشقي كان رجلاً شرقياً عاش في ظل الدولة الأموية وخدم في القصر الأموي.

-ولهذا سنصرف النظر عن مثل هذه المحاولات من جانب النصارى الشرقيين، ونقصر حديثنا على العلماء الغربيين.

ج- الآراء حول بداية الاستشراق:

وهنا نجد أيضاً أنه ليس هناك اتفاق على فترة زمنية معينة لبداية الاستشراق:

-فبعض الباحثين يذهب إلى القول بأن البدايات الأولى للاستشراق ترجع إلى القرن العاشر الميلادي. ولعل هذا هو السبب الذي أدي ب نجيب العقيقي إلى أن يجعل كتابه عن المستشرقين- في أجزائه الثلاثة- سجلاً للاستشراق على مدى ألف عام، بدءاً من الراهب الفرنسي جرير دي أورلياك (٩٤٠- ١٠٠٣م) الذي قصد الأندلس، وتتلمذ على أساتذتها في إشبيلية وقرطبة حتى أصبح أوسع علماء عصره في أوروبا ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك، ثم تقلد فيما بعد منصب البابوية في روما باسم سلفستر الثاني (٩٩٩ - ١٠٠٣)

-وهناك بعض الباحثين الذين يرون أن البدايات الأولى للاستشراق ترجع إلى مطلع القرن الحادي عشر الميلادي.

-يرى (رودي بارت Rudi Paret) أن بدايات الدراسات الإسلامية والعربية في أوروبا تعود إلى القرن الثاني عشر الذي تمت فيه لأول مرة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، كما ظهر أيضاً في القرن نفسه أول قاموس لاتيني عربي.

-وما ذهب إليه بارت في هذا الصدد سبق أن عبر عنه كتاب المستشرق جوستاف دوجا (تاريخ المستشرقين في أوروبا من القرن الثاني عشر حتى القرن التاسع عشر) الذي صدر في باريس في نهاية الستينات من القرن الماضي.

-وعلى الرغم من أن الاستشراق - بناء على ذلك - يمتد جذوره إلى ما يقرب من ألف عام مضت فأن مفهوم (مستشرق) Orientalist لم يظهر في أوروبا إلاَّ في نهاية القرن الثامن عشر.

-فقد ظهر أولاً في إنجلترا عام ١٧٧٩م ، وفي فرنسا عام ١٧٩٩م.

- أدرج مفهوم (الاستشراق Orientalism) في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨ م.

-ولكن المهم هنا ليس هو متى ظهر مفهوم (مستشرق) أو (استشراق) ، وإنما المهم هو متى بدأت الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ومتى بدأ الاشتغال بالإسلام والحضارة الإسلامية سواء بالقبول أو بالرفض.

-أما المصطلح ذاته فلا يعني شيئاً أكثر من إقرار أمر واقع، وإطلاق وصف على الدراسات التي كانت قائمة بالفعل قبل ذلك بقرون عديدة، بصرف النظر عن مدى علمية هذه الدراسات أو موضوعيتها.

-وعلى أية حال فإن الدافع لهذه البدايات المبكرة للاستشراق كان يتمثل في ذلك الصراع الذي دار بين العالمين الإسلامي والنصراني في الأندلس وصقلية، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوروبيين بتعاليم الإسلام وعاداته. ولهذا يمكن القول بأن تاريخ الاستشراق في مراحله الأولى هو تاريخ للصراع بين العالم النصراني الغربي في القرون الوسطى والشرق الإسلامي على الصعيدين الديني والأيديولوجي.

المحاضرة الثانية

- دوافع الاستشراق:
- ١- الدافع الديني.
- ٢- الدافع الاستعماري.
- ٣- الدافع التجاري.
- ٤- الدافع السياسي.
- ٥- الدافع العلمي.

١- الطعن في الإسلام:

-بدأ الاستشراق كما ذكرنا من قبل على يد الرهبان ورجال الدين المسيحي.

-كان همهم الطعن في الإسلام وتشويه محاسنه وتحريف حقائقه.

-كان الإسلام هو الخصم الوحيد للمسيحية في ذلك الوقت، فعملوا على تصويره على أنه دين لا يستحق الانتشار.

-عملوا على تصوير المسلمين على أنهم قوم همج ولصوص وسفاكو دماء، يحثهم هذا الدين على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي.

٢- صرف نظر فلاسفة الغرب عن نقد المسيحية:

-شهد العصر الحاضر تقدم الحضارة الغربية المادية التي زعزعت أركان العقيدة المسيحية، ورفعت شعار العلمانية، وشككت الناس في التعاليم التي يتلقونها عن رجال الدين المسيحي.

-استغل الرهبان حركة الفتوحات الإسلامية الأولى، وكذلك الفتوحات العثمانية في بث الرعب والخوف من الإسلام في أوربا، من خلال دراسات مغلوطة عن الإسلام.

٣- التنصير:

-لم يكن هدفهم نقل صورة مغلوطة عن الإسلام للمواطن الغربي فقط؛ بل كان هدفهم تشكيك المسلمين في دينهم وزعزعة إيمانهم به، ومن ثم النفاذ من ذلك إلى نشر الديانة المسيحية بين المسلمين.

-وإذا كان الهدف الديني لم يعد ظاهراً الآن في الكثير من الكتابات الاستشراقية فليس معنى ذلك أنه قد اختفى تماماً. إنه لا يزال يعمل من وراء ستار بوعي أو بغير وعي . فمن الصعب على معظم المستشرقين النصارى - المشتغلين بدراسة الإسلام - وأكثرهم متدينون، أن ينسوا أنهم يدرسون ديناً ينكر عقائد أساسية في النصرانية ويهاجمها ويفندها مثل عقيدة التثليث وعقيدة الصلب والفداء.

-كما أنه من الصعب عليهم أيضاً أن ينسوا أن الدين الإسلامي قد قضى على النصرانية في كثير من بلاد الشرق وحل محلها.

٤- اليهود والاستشراق:

-يلاحظ أن هناك كثيرًا من اليهود عملوا في مجال الاستشراق. ولكن من الصعب تفسير سبب اهتمام اليهود بالاستشراق.

-يلاحظ أن اليهود الذين عملوا في هذا المجال دخلوه بوصفهم أوربيين (غربيين) لا يهود.

-شارك اليهود النصارى في رغبتهم في الطعن في الإسلام والتشكيك في قواعده ومبادئه.

-لا توجد آثار أو شواهد تدل على اهتمامهم بنشر اليهودية أو حتى التنصير. لكنهم اهتموا بإثبات فضل اليهودية على الإسلام والادعاء بأنه المصدر الأول للإسلام.

-لما نجح الاستعمار في السيطرة العسكرية والسياسية على البلاد العربية اتجه الاستشراق إلى مجال إضعاف روح المقاومة العربية ، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا، والتشكيك فيما عندنا من عقيدة وقيم إنسانية، لكي نتجه إلى الغرب نستجدي منه المقاييس الأخلاقية والمبادئ العقدية.

-عمل الاستعمار على بث الفرقة بيننا عن طريق نشر الفكرة القومية التي عفى عليها الزمن واندثرت منذ أن حمل العرب رسالة الإسلام وتوحدت لغتهم وعقيدتهم وسمت فوق الشعوبية والقومية.

-لم ييأس الغربيون بهزيمتهم في الحروب الصليبية التي كانت في حقيقتها حربا استعمارية. فاتجهوا إلى دراسة بلاد العرب في كل شئونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات وسكانها، ليتعرفوا على مواطن القوة عندهم فيضعفوها، ومواطن الضعف فيغتنموها ويهاجمون العالم العربي من خلالها.

-وهكذا نشأت هناك رابطة رسمية وثيقة بين الاستشراق والاستعمار، وانساق في هذا التيار، عدد من المستشرقين ارتضوا لأنفسهم أن يكون علمهم وسيلة لإذلال المسلمين وإضعاف شأن الإسلام وقيمه - وهذا عمل يشعر إزاءه المستشرقون المنصفون بالخجل والمرارة.

-وفي ذلك يقول المستشرق الألماني المعاصر (استفان فيلد): «والأقبح من ذلك أنه توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين. وهذا واقع مؤلم لا بد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة».

أمثلة لمستشرقين سخروا أنفسهم لخدمة الاستعمار:

من بين الأمثلة العديدة لارتباط الاستشراق بالاستعمار نذكر:

- المستشرق (كارل هينريش بيكر) (ت ١٩٣٣م) وهو مؤسس (مجلة الإسلام) الألمانية، وهو الذي قام بدراسات تخدم الأهداف الاستعمارية الألمانية في أفريقيا.

-لقد حصل الرايخ الألماني في عام ١٨٨٥ - ١٨٨٦ م على مستعمرات في أفريقيا تضم مناطق بعض سكانها من المسلمين، وقد أدى ذلك إلى تأسيس معهد اللغات الشرقية في برلين عام ١٨٨٧م وهو معهد كانت مهمته تتلخص في الحصول على معلومات عن البلدان الشرقية الحالية وبلدان الشرق الأقصى وعن شعوب هذه البلدان وثقافتها.

- في هذا يقول المستشرق الألماني (أوليريش هارمان):

«كانت الدراسات الألمانية حول العالم الإسلامي قبل عام ١٩١٩م أقل براءة وصفاء نّية. فقد كان كرل هينريش بيكر - وهو من كبار مستشرقينا - منغمساً في النشاطات السياسية، حتى إنه أصبح في ١٩٣٠ م شديد الحماس لمخطط استخدام الإسلام في أفريقيا والهند كدرع سياسية في وجه البريطانيين».

٢- (بارتولد) [ت ١٩٣٠م] وهو مؤسس مجلة (عالم الإسلام) الروسية "Mir Islama" فقد تم تكليفه عن طريق الحكومة الروسية بالقيام ببحوث تخدم مصالح السيادة الروسية في آسيا الوسطى.

٣- أما عالم الإسلاميات الهولندي الشهير (سنوك هورجرونيه) [ت ١٩٣٦م] فإنه في سبيل استعداده للعمل في خدمة الاستعمار توجه إلى مكة في عام ١٨٨٥م بعد أن انتحل اسماً إسلامياً هـو (عبد الغفار)، وأقام هناك ما يقرب من نصف عام . وقد ساعده على ذلك أن كان يجيد العربية كأحد أبنائها. وقد لعب هذا المستشرق دوراً هاماً في تشكيل السياسة الثقافية والاستعمارية في المناطق الهولندية في الهند الشرقية، وشغل مناصب قيادية في السلطة الاستعمارية الهولندية في إندونيسيا.

٤- وفي فرنسا كان هناك عدد من المستشرقين يعملون مستشارين لوزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال أفريقيا. وعلى سبيل المثال كان المستشرق الكبير (دي ساسي) اعتباراً من ١٨٠٥م يشغل منصب المستشرق المقيم في وزارة الخارجية الفرنسية.

وعندما غزا الفرنسيون الجزائر عام ١٨٣٠م كان (دي ساسي) هو الذي ترجم البيان الموجه للجزائريين، وكان يستشار بانتظام في جميع المسائل المتعلقة بالشرق من قبل وزير الخارجية.

-ومن الدوافع التي شجعت الاستشراق رغبة الغربيين في التعامل مع العالم الإسلامي لترويج بضائعهم وشراء منتجاتنا بأبخس الأثمان.

-وكذلك العمل على قتل صناعة العرب والمسلمين وإقناعهم بأن بلادهم لا تصلح إلا للزراعة واستخراج الثروات المعدنية الخام وتصديرها للغرب.

-بعد استقلال أغلب الدول الإسلامية والعربية عمل الاستعمار على تعيين مستشار ثقافي في كل سفارة من سفاراته في بلادنا، مهمته الاتصال برجال الفكر والثقافة والسياسية، فيتعرف على أفكارهم، ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته ويخدم أغراضها.

-وكثير من السفراء تحت زعم توجيه النصح والإسداء المعونة درسوا نفسية زعمائنا وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة.

-من المستشرقين نفر قليل جدا أقبلوا على دراسة الشرق بدافع من حب العلم والاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافتها ولغاتها. وهؤلاء جاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق لأنهم لم يتعمدوا الدس ولا التحريف.

-ومن هؤلاء المنصفين من اهتدى إلى الإسلام بعدما تبين من الحق.

-ولكن هؤلاء لايظهرون إلا إذا كان لهم تمويلهم الخاص، لأن الدول الغربية لا تنفق على الاستشراق إلا لتحقيق أغراضها.

المحاضرة الثالثة

•أهداف الاستشراق:

•١- هدف علمي مشبوه.

•٢- أهداف دينية وسياسية.

•٣- أهداف علمية خالصة.

١- التشكيك بصحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ومصدرها الإلهي:

-جمهور المستشرقين ينكر أن يكون النبي- صلى الله عليه وسلم- نبيًّا موحىً إليه من عند الله.

-يختلفون في تفسير أعراض نزول الوحي على النبي، فبعضهم يقول إنه (صرع) والبعض يقول إنه (مرض نفسي) ومن من يرجعها إلى تخيلات كانت تملأ ذهنه صلى الله عليه وسلم.

-وهم جميعهم يهود ومسيحيون يؤمنون بنبوة كل أنبياء بني إسرائيل ويعرفون كيف يفسرون ظاهرة الوحي، ولكنهم تجاهلوا ذلك.

٢- التشكيك في كون القرآن كتابًا منزلا:

-جمهور المستشرقين يشككون في كون القرآن الكريم كتابًا منزَّلًا، وحين يفحمهم ما ورد في القرآن من حقائق تاريخية يرجعون ذلك إلى أنه أخذ هذه المعلومات من أشخاص أخبروه بها.

-وحين يفحمهم ما ورد في القرآن من حقائق علمية تسبق عصرها بأكثر من ألف وأربعمئة عام، يرجعون ذلك إلى ذكاء النبي.

-وهكذا تجدهم يتخبطون في تفسيرهم بسبب تعصبهم الديني وكون أغلبهم رهبان وقساوسة.

٣- الادعاء بأن الإسلام دين ملفق:

-أغلب المستشرقين ينكرون أن الإسلام دين سماوي من عند الله.

-وهم يدعون أن الإسلام دين ملفق من الديانتين اليهودية والمسيحية.

-وهي ادعاءات ليست قائمة على أساس علمي، بل قائمة على بعض التشابه ونقاط الالتقاء بين الإسلام والديانتين اليهودية والمسيحية.

-المستشرقون اليهود- أمثال جولد تسيهر وشاخت- يدعون أن الإسلام أخذ من اليهودية وتأثر بها بشكل كبير في مسائل الشريعة.

-المستشرقون المسيحيون يسيرون وراء المستشرقين اليهود لأنه ليس عندهم شريعة في المسيحية. ومع ذلك يدعون أن الإسلام تأثر بأخلاق ومبادئ المسيحية.

-من السهل الرد عليهم بأن هذا التشابه مرجعه إلى أن الذي أوحى باليهودية هو الذي أوحى بالإسلام وليس من المفروض في الديانات السماوية أن تتعارض مبادؤها وأخلاقها.

٤ـ التشكيك في صحة الحديث النبوي:

-يتجاهل المستشرقون القواعد والأصول التي وضعها علماء الحديث للتدقيق في صحة الحديث النبوي، ويعمدون إلى التشكيك في الأحاديث كلها فيقولون إن الأحاديث تعرضت لعمليات وضع ودس وتحريف.

-دافعهم إلى التشكيك هو ما وجدوه في الأحاديث النبوية من ثروة علمية وتشريعية وفكرية مدهشة فاستكبروا أن تصدر كل هذه الثروة عن النبي الذي يرفضون نبوته أساسا. فادعوا أن هذه الأحاديث وضعت في القرون الثلاثة الأولى للهجرة.

٥ـ التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي الذاتية:

-يستكبر المستشرقون أن يكون الفقه الإسلامي ذلك التشريع الذي لم يجتمع لأمة من الأمم من قبل قد نزل على النبي محمد، فيذهبون إلى أنه مأخوذ من القانون الروماني.

-قرر مؤتمر القانون المقارن المنعقد في (لاهاي) أن الفقه الإسلامي فقه مستقل بذاته وليس مستمد من أي تشريع آخر. وهو ما يفحم المتعنتين منهم، ويقنع المنصفين.

٦ـ التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي:

-عمل المستشرقون على التشكيك في قدرة اللغة العربية على استيعاب مصطلحات العلوم لكي نظل عالة على مصطلحاتهم التي تشعرنا بفضلهم على العلم.

-كما شككوا في غنى الأدب العربي، لكي نتجه إلى دراسة آدابهم، وذلك هو الاستعمار الأدبي والفكري.

١ـ تشكيك المسلمين في دينهم ونبيهم وقرآنهم وفقههم:

-ففي ذلك هدفين: ديني واستعماري يمكن لهم من السيطرة على بلاد المسلمين.

٢ـ تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري:

يدعون أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان، والعرب ليسوا إلا نقلة للفلسفة اليونانية والرومانية.

٣- إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم:

-عن طريق بث روح الشك في كل ما بين أيدينا من قيم ومثل عليا وعقيدة؛ ليسهل على الاستعمار فرض ثقافته وحضارته علينا.

٤- إضعاف روح الإخاء الإسلامي:

-وذلك عن طريق بث الأفكار القومية التي تدعو إلى التفرق والتحزب.

هناك فريق من المستشرقين اهتم بدراسة التراث العربي والإسلامي دراسة علمية خالصة خالية من الأهداف والأغراض.

-عددهم قليل.

-خبرتهم باللغة العربية قليلة، فيقعون في أخطاء كثيرة.

-جهلة بالأجواء التاريخية الإسلامية، ولذلك يتصورونها كما يتصورون مجتمعاتهم.

-هذه الفئة أسلم الفئات الثلاث، وأقلها خطرا.

-منهم (توماس أرنولد) الذي أنصف الإسلام والمسلمين في كتابه (الدعوة إلى الإسلام). حيث برهن على تسامح الإسلام وعدم قيام المسلمين بفرض دينهم بالقوة كما يردد بقية المستشرقين.

-منهم من اعتنق الإسلام لما بدا له الحق مثل الفرنسي (دينيه) الذي أسلم وتسمى باسم (ناصر الدين دينيه).

المحاضرة الرابعة

•وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم:

- لم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أفكارهم وبث سمومهم إلا اتبعوها، ومنها:

١- تأليف الكتب.
٢- إصدار المجلات.
٣- إرساليات التبشير.
٤- إلقاء المحاضرات.
٥- نشر المقالات في الصحف.
٦- عقد المؤتمرات.

٧- إصدار الموسوعات (دائرة المعارف الإسلامية).

٨- إنشاء الجمعيات الاستشراقية. ٩- التدريس الجامعي.

-قام المستشرقون بتأليف آلاف الكتب عن: الإسلام ومبادئه واتجاهاته ورسوله وقرآنه ، وفي أكثرها تحريف متعمد في نقل النصوص أو بترها وإخراجها من سياقها بطريقة (لا تقربوا الصلاة).

-وقد تنوعت كتب المستشرقين بين معاجم وقواميس، ودوائر معارف، وترجمة التراث العربي إلى اللغات الأجنبية وتحقيقه ونشره.

-بلغ عدد الكتب التي ألفها المستشرقون نحو ستين ألف كتاب، وسوف نتحدث عن أهم المؤلفات التي صنفها المستشرقون في المحاضرة السابعة.

-قام المستشرقون بإنشاء كثير من المجلات الخاصة بالدراسات الاستشراقية، وقد زاد عددها بشكل كبير حتى زادت على الثلاثمئة مجلة بمختلف اللغات الأوربية.

-من أهم المجلات التي أصدروها:

١ - مجلة ينابيع الشرق (أصدرها المستشرق النمساوي هامر برجشتال في فيينا سنة ١٨٠٩، وهي أول مجلة استشراقية متخصصة في أوروبا واستمرت تصدر حتى سنة ١٨١٨م) .

٢- المجلة الآسيوية (أصدرتها جمعية المستشرقين الفرنسية سنة ١٨٢٠).

٣- مجلة الجمعية الآسيوية الملكية (أصدرتها الجمعية الآسيوية الملكية في لندن سنة ١٨٢٣).

٤- مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية (أصدرتها الجمعية الشرقية الأمريكية سنة ١٨٤٢).

٥- مجلة العالم الإسلامي الفرنسية (أصدرها المستشرقون الفرنسيون سنة ١٩٠٦، وهي تتميز باتجاهها العدائي التبشيري).

٦- مجلة العالم الإسلامي الأمريكية (هي من أخطر المجلات الأمريكية، وقد أصدرها المستشرق والمنصر زويمر سنة ١٩١١).

٧- مجلة الإسلام الألمانية (صدرت في برلين سنة ١٩١٠).

-جاءت الإرساليات التبشيرية إلى العالم الإسلامي لتزاول أعمالا إنسانية في الظاهر كالتعليم والعلاج وغيرها، فأنشأوا المدارس والجامعات، وكذلك المستشفيات والملاجئ، وأنشأوا أيضا الجمعيات ودور الضيافة مثل جمعية الشبان المسيحية وأشباها.

-استعانت بعض الإرساليات التنصيرية بالمستشرقين ليساعدوهم في عملهم، ويكونوا ستارا يخفي غرضهم الحقيقي.

-اهتم المستشرقون بإلقاء المحاضرات في كل مناسبة وفي كل مكان لنشر أفكارهم وسمومهم.

-لكن الغريب أن كثيرًا من المستشرقين يتلقون الدعوات لإلقاء محاضرات في جامعات كثير من البلدان العربية والإسلامية.

-فقد استضافت جامعات البلاد الإسلامية في القاهرة وبغداد والرباط ودمشق وكراتشي ولاهور عددا من أشد المستشرقين خطرا على الإسلام وكيدا له؛ لكي يتحدثوا عن الإسلام ومبادئه ورسوله.

-اهتم المستشرقون بنشر أكاذيبهم في مقالات تنشرها الصحف المحلية في بلادهم.

-كما نجحوا في استئجار عدد من الصحف في بلادنا .

-كانت مصر أكثر البلدان الإسلامية التي نجح المستشرقون في نشر مقالات لهم في صحفها، أكثرها صحف مأجورة، وبعضها كان ينشر بلا أجرة.

-سعى المستشرقون إلى عقد كثير من الندوات والمؤتمرات لبحث خططهم وإحكام مؤامراتهم في الحقيقة.

-كان الهدف الظاهري لتلك المؤتمرات البحوث العامة.

-كان أول مؤتمر دولي للمستشرقين قد عقد في باريس سنة ١٧٨٣م.

-عقد حتى الآن أكثر من ثلاثين مؤمرًا دوليًّا، وبعض الندوات والمؤتمرات المحلية.

-بعض هذه المؤتمرات يحضره مئات العلماء مثل مؤتمر أكسفورد الذي ضم أكثر من ٩٠٠ مستشرق من ٢٥ دولة و٨٥ جامعة، ٦٩ جمعية علمية.

-تم حشد جيش من أكثر المستشرقين عداوة للإسلام لكي يكتبوا موسوعة عن الإسلام والمسلمين.

-صدرت «دائرة المعارف الإسلامية» في أكثر من خمسين مجلدا، بعدة لغات أجنبية مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية. وفيها تم دس السم في السمن، وملئت بالأباطيل عن الإسلام وما يتعلق به.

-تمت ترجمتها إلى اللغة العربية، وللأسف أصبحت الطبعة العربية مرجعًا لكثير من المسلمين والعرب ويتخذونها دليلا وحجة، وهذا من مظاهر الجهل عند بعض المثقفين العرب، وعقدة النقص عندهم.

-اهتم المستشرقون منذ بداية القرن التاسع عشر بإنشاء عشرات الجمعيات التي تهتم بالاستشراق وعلومه، في مختلف أنحاء أوربا وأمريكا،

- ومن أهم تلك الجمعيات:

١ـ الجمعية الآسيوية في باريس تأسست سنة ١٨٢٢م.

٢ـ الجمعية الآسيوية الملكية في بريطانيا وإيرلندا ، تأسست سنة ١٨٢٣م.

٣ـ الجمعية الشرقية الأمريكية ، تأسست سنة ١٨٤٢م.

٤ـ الجمعية الشرقية الألمانية تأسست سنة ١٨٤٥م.

وقد نشطت هذه الجمعيات في عقد الندوات وإصدار المجلات التي ذكرنا بعضها من قبل.

-لا تكاد تخلو جامعة أوربية أو أمريكية من معهد أو مركز متخصص في الدراسات العربية والإسلامية.

-يوجد في بعض الجامعات أكثر من معهد للاستشراق مثل: جامعة ميونخ حيث يوجد بها:

١ـ معهد اللغات السامية والدراسات الإسلامية.

٢ـ معهد تاريخ وحضارة الشرق الأدنى.

-تهتم هذه المعاهد بتدريس اللغة العربية، وتخريج الدارسين في الماجستير والدكتوراه لإعداد كوادر المستشرقين الذين سيواصلون العمل الأكاديمي.

-كما تقوم بتخريج عديد من الدبلوماسيين الذين سيعملون في البلاد الإسلامية.

-وتخريج موظفين ومكتبيين للعمل في أقسام الدراسات الشرقية بالمكتبات الكبرى أو مراكز البحوث.

المحاضرة الخامسة

- **أولا- مجالات الاستشراق.**
- **ثانيًا- فئات المستشرقين.**

-كان مجال الاستشراق في البداية ضيقًا ومحدودًا، حيث بدأ بدراسة اللغة العربية والإسلام؛ بهدف التعرف على الإسلام واستكشاف مواطن القوة والضعف فيه لكي يمكن الطعن فيه.

ولكن بعد التوسع الاستعماري الغربي في آسيا وأفريقيا اتسعت مجال الدراسات الاستشراقية لتشمل كل بلاد الشرق، فيشمل دراسة ديانات الشرق وعاداته وتقاليده وحضاراته وجغرافيته. ولكن ظلت الأولوية للإسلام والآداب العربية والحضارة الإسلامية.

أهم مجالات الاستشراق:

١ـ دراسة الإسلام وما يتصل به مثل:

- **دراسة القرآن وعلومه من تفسير وقراءات، وكذلك البحث والتنقيب عن أصول القرآن ومصادره وكيفية جمعه وتدوينه.**
- **دراسة السنة النبوية والبحث في علوم الحديث ومدى صحتها والطعن في عملية تدوين الحديث الشريف.**
- **دراسة الفقه الإسلامي ومصادره والطعن عليه والادعاء بأنه منقول عن القانون الروماني.**
- **دراسة التصوف والفلسفة الإسلامية. وسوف نعرض لنماذج من أعمالهم عند حديثنا عن المؤلفات.**

٢ـ دراسة السيرة النبوية والتاريخ والحضارة الإسلامية.

٣ـ دراسة النحو العربي وفقه اللغة العربية.

٤ـ دراسة الآداب العربية من شعر ونثر وقصة وغيرها، وكذلك دراسة تاريخ الأدب العربي.

٥ـ دراسة التراث العربي وجَمْعه وتحقيقه، حيث اهتم المستشرقون بتجميع المخطوطات العربية في كل العلوم من كل مكان، حتى أصبحت معظم المخطوطات العربية الباقية محفوظة في مكتبات أوربا وأمريكا.

٦ـ دراسة الديانات الشرقية وما يتصل بها من عادات وتقاليد لأبتاع تلك الديانات.

ينقسم المستشرقون إلى أنواع عديدة تتراوح بين التعصب الشديد والإنصاف،

وهذا ملخص لفئات المستشرقين:

١ـ فريق يعمل في مجال التنصير:

وهؤلاء هدفهم من الاستشراق الكيد للإسلام وإضعافه ليمهد السبيل للتنصير.

٢ـ فريق من طلاب الأساطير والغرائب:

وهؤلاء من الذين افتروا على الإسلام واخترعوا القصص الكاذبة عنه، وقد ظهروا في بداية ظهور الاستشراق ثم ظهر كذبهم فاختفوا بالتدريج.

٣- فريق من المرتزقة في خدمة الاستعمار:

وهؤلاء جندوا بحوثهم ودراساتهم في خدمة المصالح الغربية الاقتصادية والسياسية، كما مهدوا لدخول الاستعمار.

٤- فريق من المتغطرسين الحاقدين:

وهؤلاء قد أخذتهم العزة بالإثم وأعمتهم الضلالة عن النزاهة العلمية، فراحت أقلامهم تقطر حقدا وعداوة وطعنا في الإسلام مثل: بدويل، بريدو ، سيل، وهؤلاء ظهروا في القرن الثامن عشر.

٥- فريق من الملحدين:

وهؤلاء كان عداؤهم للنصرانية كما هو للإسلام، فنالوا من كل الديانات، وكانت كتاباتهم تقطر حقدا وعدوانية.

٦- فريق تعرض للإسلام باسم البحث العلمي:

وهؤلاء انحرفوا عن جادة الصواب فراحوا يتلمسون نقاط الضعف في الإسلام، ويشككون فيه باسم العلم والبحث العلمي في صحة الرسالة وفي مصدر القرآن وصحته، وفي قدرة للغة العربية على مواكبة التطور وغير ذلك.

٧- فريق التزم الموضوعية والنزاهة:

وهؤلاء درسوا الإسلام بموضوعية ونزاهة علمية، فأنصفوا الإسلام والمسلمين، وهؤلاء عددهم قليل وأغلب أولئك المنصفين أسلم، وقد تعرضوا للمضايقات في بلادهم، ومنهم:

-توماس أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) الذي أكد فيه على تسامح المسلمين وعدم إجبارهم أحد على الدخول في الإسلام، وكذَّب مقولة إن الإسلام انتشر بحد السيف.

-المستشرق الفرنسي الفنان دينيه الذي أسلم وسمى نفسه (ناصر الدين دينيه) وألف بالاشتراك مع أستاذ جزائري كتابا عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٨- فريق اهتم باللغة العربية وآدابها:

وهؤلاء تخصصوا في دراسة اللغة العربية وفقهها والأدب العربي وتاريخه، وأنتج معظمهم مؤلفات قيمة مثل كارل بروكلمان صاحب (تاريخ الأدب العربي).

المحاضرة السادسة

•أولا- الملامح الظاهرية للمنهج الاستشراقي.
•ثانيًا- نقد المنهج الاستشراقي.

-يدعي أغلب المستشرقين أنهم لا يستهدفون النيل من الإسلام، وإنما يقدرونه وكل ما نتج عنه من حضارة وأدب، ولكنهم لا يأخذون كل ما ترويه المصادر على عواهنه، وإنما يعملون النظر والنقد فيها، فما يثبت أمام النقد التاريخي يقبلونه ويرفضون ما لا دليل ولا سند عليه.

-ويدعون أن هذا المنهج هو نفسه المنهج الذي يطبقونه على الفكر الغربي المسيحي وعلى المصادر المدون فيها فكرهم وأدبهم.

-وهذا المنهج لا غبار عليه إذا طبق بهذه الطريقة وبأمانة وحيادية، ولكن الحقيقة غير ذلك.

يقول المستشرق الألماني رودي بارت:

-(فنحن معشر المستشرقين، عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم العربية والعلوم الإسلامية لا نقوم بها قط لكي نبرهن على ضعة العالم العربي الإسلامي، بل على العكس، نحن نبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذي يمثله الإسلام، ومظاهره المختلفة، والذي عبر عنه الأدب العربي كتابة، ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شيء ترويه المصادر على عواهنه دون أن نعمل فيه النظر، بل نقيم وزناً فحسب لما يثبت أمام النقد التاريخي أو يبدو وكأنه يثبت أمامه، ونحن في هذا نطبق على الإسلام وتاريخه، وعلى المؤلفات العربية التي نشتغل بها المعيار النقدي نفسه الذي نطبقه على تاريخ الفكر عندنا وعلى المصادر المدونة لعالمنا نحن).

-لم يلتزم المستشرقون بالمنهج العلمي السليم الذي ادعى بعضهم أنه يعمل طبقا لمبادئه، ولم يعملوا طبقا لمعايير سليمة وإنما عملوا طبقا لمعايير ناقصة ومغلوطة قامت على أساس: الانتقاء والاجتزاء والتحريف والتزوير، وفيما يلي نشرح تلك المعايير:

١- الانتقاء:

قام أحد المستشرقين المعاصرين وهو (جاستون فييت) في كتابه (مجد الإسلام) بكتابة تاريخ الإسلام عن طريق صفحات مختارة من أقوال المؤرخين والكتاب المعاصرين لكل فترة من فترات هذا التاريخ. ولكن عملية الاختيار كانت تتم على أساس اختيار النصوص التي تتفق مع الاتجاه الذي اختاره هو سلفاً وهو اتجاه يتسم بالعداء والكراهية للإسلام والمسلمين، ومن ثم فإن هذا الكتاب ينضح بالحقد والطعن في الإسلام وتاريخه.

٢- الاجتزاء:

حيث يقومون بأخذ جزء من الحقيقة فقط ويتركون ما يتعارض مع ميولهم وأهوائهم، على طريقة (لا تقربوا الصلاة) ، كما نجدهم لا يترددون في الاعتماد على الأحاديث الضعيفة، بينما أمامهم أحاديث صحيحة صريحة واضحة تناقض ما يقولون.

٣- التحريف:

يعمل بعض المستشرقين على تعريف المعاني والمصطلحات بحيث تؤدي إلى معنى غير معناها الحقيقي. ومن أمثلة ذلك استخدام بروكلمان مصطلح (الرعية) ليعطي انطباعا بأن العرب كانوا هم الطبقة الحاكمة التي تمثل (الراعي) والتي تعامل الأعاجم كطبقة ثانية (الرعايا) واستنتج من ذلك أن العرب نظروا إلى الأعاجم كقطيع من الغنم. ولكن الحقيقة المعنى اللغوي للكلمة لا يحمل تلك الدلالة، بل يحمل معنى الحماية والرعاية، كما إن الشواهد التاريخية والوثائق تؤكد حسن معاملة العرب للأعاجم.

٤- التهافت:

يسعى المستشرقون دائما إلى التهافت على الروايات الغريبة والشاذة، ويبنون عليها حقائق كلية ولا يعملون فيها الرأي أو النقد كما يفعلون مع كثير من المسائل الصحيحة، فمثلا نجد المستشرق جولد تسيهر أخذ رواية شاذة وغريبة للدميري في كتابه (الحيوان) تقول: إن أبا حنيفة رحمه الله كان لا يعرف هل كانت غزوة بدر قبل أحد أم كانت أحد قبل بدر، وبنى عليها حقائق غريبة، فادعى أن المسلمين الأوائل لم يكونوا يعرفون أحكام الإسلام، ولم يكونوا ملمين بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم. وأن الحديث النبوي تم وضعه في القرون الثلاثة الأولى بعد الهجرة.

ولو كان جولد تسيهر منصفا لعَلم أن أبا حنيفة كان من أئمة المسلمين الذين كتبوا في فقه الحرب ويعرف تفاصيل ما دار في كل غزوة وذكر كثير من المسائل الفقهية حول حكم الأسرى وغير ذلك من الأمور، كما إن تلاميذه أبو يوسف ومحمد بن الحسن لهما أعمال في الفقه يتضح من مراجعتها إلمامهما بالسيرة النبوية وهما تلاميذ الإمام أبو حنيفة وحاملي علمه.ولم يكن جولد تسيهر غافلا عن تلك الحقائق، ولكنه تغافل عنها وعن مؤلفات أبي حنيفة وتلاميذه التي تؤكد علمهم بالسيرة والغزوات وبكل تفاصيلها، وتهافت على رواية فاسدة لرجل ليس مؤرخا ولا فقيها ولا محدثا، وكتابه ليس إلا كتاب مليء بمجموعة من النوادر والطرائف عن الإنسان والحيوان.

٥- التزوير:

زعم المستشرق جولد تسيهر أن الإمام محمد بن شهاب الزهري كان كاذبا يضع الأحاديث للأمويين، وأنه هو الذي وضع حديث (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) وحجته في ذلك ان الزهري هو راوي هذا الحديث وأن الزهري كان معاصرا لعبد الملك بن مروان.

وهذا استنتاج غريب، يتناقض مع ما أجمع عليه علماء الجرح والتعديل وكتب التاريخ من صدق الإمام الزهري وورعه وأمانته ودينه. ولكن جولد تسيهر أعرض عن ذلك كله وسمح لعقله بأن يستنتج هذا الاستنتاج الشاذ.

٦- التخبط والتناقض:

يحاول المستشرقون استنتاج علل وأسباب لا أصل لها إلا خيالاتهم، وبالتالي سرعان ما يتناقضون ويتخبطون، فتجد أحدهم يقر أمرا نقضه آخر، وتجد آخر ينقض رأيا أقره ثالث.

وقد أحسن المستشرق الفرنسي (ناصر الدين دينيه) وصف تلك الحالة فقال:

«إن هؤلاء المستشرقين الذين حاولوا نقد سيرة النبي بهذا الأسلوب الأوربي البحت لبثوا ثلاثة أرباع قرن يدققون ويمحصون بزعمهم حتى يهدموا ما اتفق عليه جمهور المسلمين من سيرة نبيهم، وكان ينبغي لهم بعد هذه التدقيقات الطويلة العريضة أن يهدموا الآراء المقررة من السيرة النبوية، فهل تسنى لهم ذلك؟ ... لا نجد إلا خلطا وخبطا ، وإنك لترى كل واحد منهم يقرر ما نقضه غيره أو ينقض ما قرره».

المحاضرة السابعة

- **مؤلفات المستشرقين في مجال نشر التراث العربي.**
- **مؤلفات المستشرقين في مجال المعاجم والقواميس.**
- **مؤلفات المستشرقين في مجال الترجمة.**
- **مؤلفات المستشرقين في مجال الدراسات الإسلامية.**

-استطاع المستشرقون نشر عدد كبير جدا من كتب التراث العربي وتحقيقها في مجالات عديدة فمنها:

في التاريخ:

سيرة ابن هشام، المغازي للواقدي، تاريخ الطبري، الأنساب للسمعاني، تجارب الأمم لابن مسكويه، فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم.

في علوم القرآن وتفسيره:

الإتقان للسيوطي، الكشاف للزمخشري،

في علوم اللغة العربية:

كتاب سيبويه، لاشتقاق لابن دريد، معجم الأدباء لياقوت، البديع لا بن المعتز، حي بن يقظان لابن طفيل، الكامل للمبرد.

في الرياضيات:

المختصر في حساب الجبر والمقابلة للخوارزمي

-وفي الفقه والعقائد

الفقه الكبير لأبي حنيفة النعمان، الملل والنحل للشهرستاني، عمدة عقيدة أهل السنة والجماعة للحافظ النسفي.

-وعشرات الكتب غيرها في موضوعات أخرى. وعدد هائل من دواوين الشعر العربي في عصوره المختلفة

-للمستشرقين باع طويل في مجال المعاجم والقواميس اللغوية.

-تم إنجاز أول قاموس لاتيني عربي في القرن الثاني عشر الميلادي.

-ونذكر في هذا الصدد أيضاً المعجم العربي اللاتيني الذي ألفه جورج فيلهلم فرايتاج في القرن التاسع عشر ذلك المعجم الذي لا يزال يستعمل حتى اليوم.

-بالإضافة إلى العديد من القواميس الصغيرة والكبيرة التي تجمع بين العربية وغيرها من لغات أوروبية مختلفة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها من لغات أوروبية أخرى.

-وهناك مستشرقون ينفقون سنين عمرهم في إعداد مثل هذه المعاجم. وحسبنا أن نشير هنا إلى معجم اللغة العربية القديمة المرتب حسب المصادر، فقد قضى أوجست فيشر أربعين عاماً في جمعه وتنسيقه، وتعاون معه عدد من المستشرقين.

-ومن المعاجم أيضًا (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف) الذي يشمل كتب الحديث الستة المشهورة بالإضافة إلى مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد بن حنبل. وقد تم نشره في سبعة مجلات ضخمة. ويستفيد من هذا المعجم الجامعات والمعاهد الإسلامية كافة في العالم.

-نقل المستشرقون إلى لغاتهم كثيرا من دواوين الشعر والمعلقات.

-ترجموا كثيرا من كتب التاريخ مثل: تاريخ أبي الفداء، وتاريخ الطبري، ومروج الذهب للمسعودي، وتاريخ المماليك للمقريزي، وتاريخ الخلفاء للسيوطي.

-ترجموا في العلوم الإسلامية كتبا كثيرة في الفلسفة الإسلامية والفقه والعقيدة مثل: إحياء علوم الدين للغزالي، والمنقذ من الضلال للغزالي.

-بدأ الغرب عملية الترجمة من التراث الإسلامي منذ العصور الوسطى حيث ترجموا مئات من كتب الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والكيمياء وغيرها.

- ترجموا القرآن لأول مرة إلى اللغة اللاتينية في القرن الثاني عشر. وقد قام المستشرقون منذ ذلك الوقت وحتى الآن بإعداد العديد من ترجمات القرآن إلى اللغات الأوروبية كافة، وقد مهدوا لترجماتهم بمقدمات وضعوا فيها تصوراتهم عن الإسلام، وبذلك أعطوا للقارئ من بادئ الأمر تصورهم الذي لا يتفق في معظم الأحيان مع الحقائق الإسلامية، بل قد يصطدم مع هذه الحقائق اصطداماً جوهرياً .

-جولد تسيهر (دراسات إسلامية) وهو مستشرق مجري، كتب في فروع كثيرة، وكتابه هذا في أكثر من فرع من فروع الدراسات الإسلامية، وفيه اتهم الإمام الزهري بأنه كان يضع الحديث لعبد الملك بن مروان.

-آربري: وهو مستشرق إنجليزي متعصب ألف في التصوف كتابين هما (مقدمة لتاريخ التصوف) صدر عام ١٩٤٧، ثم (التصوف) ١٩٥٠م.

-آربري (ترجمة القرآن) صدر في لندن عام ١٩٤٠م.

-ألفريد جيوم (الإسلام) وهو مستشرق إنجليزي متعصب تغلب عليه الكتابات التنصيرية.

-هـ. أ. ر. جب (المذهب المحمدي) وهو أكبر مستشرقي إنجلترا المعاصرين، وكان عضوًا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة. وكتابه واضح من عنوانه.

-جولد تسيهر (تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي) ترجم إلى اللغة العربية.

-زويمر (الإسلام.. تحد لعقيدة) وهو مستشرق ومبشر أمريكي اشتهر بعدائه الشديد للإسلام.

-فون جرونباوم (إسلام العصور الوسطى) وهو مستشرق يهودي ألماني درَّس في جامعة شيكاغو بأمريكا، وهو من ألد أعداء الإسلام، وفي كتاباته تخبط واعتداء على القيم الإسلامية.

-ريتشارد سيمون تناول في كتابه (التاريخ النقدي لعقائد وعادات أمم الشرق) الذي صدر عام ١٦٨٤م عادات وعقائد المسلمين في وضوح واتزان مستنداً في عرضه لها على مرجع لأحد علماء المسلمين. مبدياً تقديره وإعجابه بالعادات الإسلامية.

-لوي ماسينيون (الحلاج الصوفي الشهيد في الإسلام) وهو مستشرق فرنسي منصر.

-آرثر جيفري (مصادر تاريخ القرآن) .

هادريان ريلاند: هو أستاذ اللغات الشرقية بجامعة أوترشت الهولندية.

-هو صاحب أول المحاولات العلمية الجادة للتعرف على الإسلام حيث كتابا باللغة اللاتينية عن الإسلام عام ١٧٠٥م بعنوان (الديانة المحمدية) في جزأين.

-الجزء الأول تكلم فيه عن العقيدة الإسلامية معتمداً على مصادر بالعربية واللاتينية.

-في الجزء الثاني قام بتصحيح الآراء الغربية التي كانت سائدة حينذاك عن تعاليم الإسلام.

-أثار الكتاب اهتماماً عظيماً لدرجة أدت إلى إثارة الشبهات حول المؤلف باتهامه بأنه يريد القيام بعمل دعائي للإسلام، في حين أنه لم يكن يقصد إلا الوصول إلى فهم الدين الإسلامي فهماً صحيحاً ممهداً بذلك السبيل إلى محاربته من جانب النصرانية بطريقة أفضل من ذي قبل.

-ولكن الكنيسة الكاثوليكية أدرجت الكتاب في قائمة الكتب المحرم تداولها. وعلى الرغم من ذلك ترجم الكتاب إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والهولندية والإسبانية.

المحاضرة الثامنة

- مؤلفات المستشرقين في مجال التاريخ والحضارة.
- مؤلفات المستشرقين في مجال الأدب العربي.
- مؤلفات المستشرقين في مجال الموسوعات ودوائر المعارف.

أ – كتب السيرة النبوية:

-من أهمها كتاب «حياة محمد» تأليف وليم موير، وهو من الكتب الخطيرة المليئة بالدَّس ولها مكانة عند بعض الناس من العرب والمسلمين.

-كتاب «محمد ومطلع الإسلام» للمستشرق مرجليوث، وقد صدر باللغة الإنجليزية وهو مليء بالحقد على الرسول صلى الله عليه وسلم والسخرية منه.

-كتاب «دراسة في التاريخ» للمستشرق الإنجليزي أرنولد توينبي، وهو كتاب في تاريخ العالم، وما يهمنا منه الأجزاء الخاصة بالإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم، حيث يظهر فيه تحامله عليه بشكل كبير.

ب – كتب التاريخ العام:

-أغلب الكتب التي ألفها المستشرقون في القرنين السابع عشر والثامن عشر جاءت منصفة للإسلام والمسلمين، متأثرة بعصور النهضة والإصلاح الديني وروح الثورة الفرنسية المعادية للكنيسة، ومن هذه الكتب:

١- سيمون أوكلي [١٦٧٨- ١٧٢٠م] كتابه (تاريخ السراسنة) أي العرب المسلمون يعد نسبياً غير متحيز، وقد مجَّد في هذا الكتاب الشرق الإسلامي ورفعه فوق الغرب.

٢- وهناك أيضا بعض المنصفين الذين كتبوا في القرنين التاسع عشر والعشرين مثل: توماس أرنولد الذي أنصف الإسلام والمسلمين في كتابه (الدعوة إلى الإسلام). حيث برهن على تسامح الإسلام وعدم قيام المسلمين بفرض دينهم بالقوة كما يردد بقية المستشرقين.

٣- ومنهم كذلك المؤرخة الألمانية سجريد هونكه صاحبة كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب) الذي بينت فيه فضل العرب والمسلمين على أوربا.

أغلب الكتب التي صدرت في القرنين التاسع عشر والعشرين جاءت معادية للإسلام والمسلمين، وتحاملت عليهم بشكل كبير ومنها:

١- كتاب (مجد الإسلام) للمستشرق جاستون فييت، وفيه كتب تاريخ الإسلام عن طريق صفحات مختارة من أقوال المؤرخين والكتاب المعاصرين لكل فترة من فترات هذا التاريخ. وعلى الرغم من ذلك فإن هذا الكتاب ينضح بالحقد والطعن في الإسلام وتاريخه، لأن (جاستون فييت) اختار فقط النصوص التي تتفق مع الاتجاه الذي اختاره هو سلفاً وهو اتجاه يتسم بالعداء والكراهية للإسلام والمسلمين.

٢- كتاب «تاريخ العرب» باللغة الإنجليزية، من تأليف فيليب حتي، ،أعيد طبعه عدة مرات، وترجم إلى اللغة العربية، وهو مليء بالطعن في الإسلام والسخرية من نبيه.

٣- كتاب «الجامعة الإسلامية» للمستشرق مارجليوث، وهو يدرس تطور فكرة الجامعة الإسلامية ويحذر منها.

ج- في مجال النظم والحضارة:

-كتاب «تاريخ اللغات السامية» للمستشرق رينان، وفيه تظهر عنصريته، حيث كان أول من قرر أن الجنس السامي في مرتبة أدنى من الجنس الآري. وبناء عليه فإن ما لدى العرب من فلسفة ليس إلا اقتباساً صرفاً جديباً وتقليداً للفلسفة اليونانية، وبمعنى آخر: إن الفلسفة العربية هي الفلسفة اليونانية مكتوبة بحروف عربية.
-كتاب «الإسلام والغرب» للمستشرق الإنجليزي هـ. أ. ر. جب، الذي أفاض فيه الحديث عن النظم الإسلامية، وخلط فيه بين الحقائق والأباطيل.
-كتاب «دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية» تأليف فون جرونباوم، صدر باللغة الإنجليزية.
-كتاب «الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية» وقد صدر بالإنجليزية لنفس المؤلف السابق.
-كتاب «الحرب والسلام في الإسلام» للمستشرق مجيد قدوري صدر بالإنجليزية عن نظم وسياسة الحرب في الإسلام.

أ- كتاب «تاريخ الأدب العربي»:
-هذا الكتاب عبارة عن عمل موسوعي ضخم من تأليف المستشرق الألماني كارل بروكلمان (توفي ١٩٥٦م).
-وهو كتاب أساسي في الدراسات العربية والإسلامية لا يستغني عنه باحث في الدراسات العربية والإسلامية.
-قام بروكلمان بهذا العمل الضخم بمفرده.
-لا يقتصر هذا الكتاب على الأدب العربي وفقه اللغة، بل يشمل كل ما كتب باللغة العربية من المدونات الإسلامية. فهو سجل للمصنفات العربية المخطوطات منها والمطبوع . ويكتمل بمعلومات عن حياة المؤلفين.
-صدر أولاً في مجلدين في عامي ١٨٩٨م، ١٩٠٢م ثم أتبعه المؤلف بثلاثة مجلدات تكميلية كبيرة تضم في مجموعها حوالي ٢٦٠٠ صفحة في الفترة من عام ١٩٣٧ إلى عام ١٩٤٢م.
-ترجم إلى اللغة العربية.

ب- تاريخ التراث العربي:
-كان بروكلمان يدرك أن كتابه في حاجة مستمرة إلى الإكمال ـ بناء على ما يكتشف من مخطوطات جديدة.
-لذلك كان دائب العناية بإكماله على مدى نصف قرن.
-وأخيرًا قام الباحث التركي المسلم فؤاد سيزكين، بعد اكتشاف آلاف المخطوطات، بإكمال عمل بروكلمان وذلك في كتابه (تاريخ التراث العربي) وقد صدر باللغة الألمانية، ثم ترجم إلى العربية، ومنح عليه جائزة الملك فيصل منذ بضع سنوات.

ج- كتاب «التاريخ الأدبي للعرب»:
-ألفه المستشرق نيكلسون، وهو من أكبر المستشرقين الإنجليز المعاصرين، وقد صدر هذا الكتاب سنة ١٩٣٠م.

١ـ دائرة المعارف الإسلامية:
-تم حشد جيش من أكثر المستشرقين عداوة للإسلام لكي يكتبوا موسوعة عن الإسلام والمسلمين.
-صدرت «دائرة المعارف الإسلامية» في أكثر من خمسين مجلدا، بعدة لغات أجنبية مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية. وفيها تم دس السم في السمن، وملئت بالأباطيل عن الإسلام وما يتعلق به.

-تمت ترجمتها إلى اللغة العربية، وللأسف أصبحت الطبعة العربية مرجعًا لكثير من المسلمين والعرب ويتخذونها دليلا وحجة، وهذا من مظاهر الجهل عند بعض المثقفين العرب، وعقدة النقص عندهم.

٢- موجز دائرة المعارف الإسلامية.

٣- دائرة معارف الدين والأخلاق.

٤- دائرة معارف العلوم الاجتماعية: الموضوعات المتصلة بالإسلام والغرب

المحاضرة التاسعة

•نماذج من آراء المستشرقين حول القرآن الكريم.

أ- رفضهم أن يكون القرآن كتابا منزلا من عند الله.

ب- رأيهم حول مصدر القرآن الكريم.

ج- رأيهم في تفسير حالة الوحي

د- رأيهم في مدى صحة النص القرآني.

هـ - رأيهم حول خطورة النص القرآني.

أ- رفضهم أن يكون القرآن كتابا منزلا من عند الله:

-القرآن الكريم هو كتاب الإسلام الأول الذي تقوم عليه عقيدة الإسلام وشريعته، وتنبثق منه أخلاق الإسلام وآدابه، فإن ثبت أنه وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ كان الإيمان به أمر لا مفر منه.

-ولذلك اتجهت جهود المناهضين للإسلام قديما وحديثا إلى محاولة زعزعة الاعتقاد في صحة القرآن وفي مصدره، وكان مشركو مكة أول من تبنى هذا الاتجاه، واختلفت أقوالهم فيه، فمنهم من قال عنه إنه (إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون)، ومنهم من قال: (أساطير الأولين اكتتبها فهي تُملى عليه) ، ومنهم من قال: إنه قول ساحر، أو قول كاهن، أو قول مجنون.

-وقد سار المستشرقون على الدرب نفسه، واتبعوا المنهج الذي اتبعه مشركو مكة وبذلوا محاولات مستميتة لإثبات أن القرآن ليس من عند الله.

-يقول جورج سيل في مقدمة ترجمته الإنجليزية لمعاني القرآن التي صدرت سنة ١٧٣٦: أما أن محمدا كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له فأمر لا يقبل الجدل، وإن كان المرجح - مع ذلك - أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته لم تكن معاونة يسيرة».

-وقد صادفت هذه المقدمة للترجمة التي جزم فيها بأن القرآن من تأليف محمد نجاحا عظيما في أوربا إلى حد ان مستشرق آخر هو كاسميركي جعل مقدمة سيل هي مقدمة لترجمته الفرنسية لمعاني القرآن التي نشرت سنة ١٨٤١م.

-ومن المستشرقين من قال ذلك بطريقة غير مباشرة، فيقول رينان إن الرسالة المحمدية هي امتداد طبيعي لما كان موجود في الجزيرة العربية قبل عصر محمد- صلى الله عليه وسلم- دون أن تشمل الرسالة على أي جديد.

ب- رأيهم حول مصدر القرآن الكريم:

-عمل المستشرقون على تأكيد أن محمد- صلى الله عليه وسلم- هو مؤلف القرآن وحبك تلك الفرية عن طريق تحديد المصادر التي اعتمد عليها محمد في تأليفه، وذهب بهم الخيال كل مذهب:

-فالمستشرق ريتشارد بل مؤلف كتاب (مقدمة القرآن) يرى أن النبي قد اعتمد في كتابة القرآن على الكتاب المقدس، خصوصا العهد القديم، ويرى أنه كان على اتصال بالجاليات اليهودية في المدينة وكانت أمامه الفرصة للاطلاع على ما في أسفار موسى على الأقل.

-وذهب المستشرق لوت إلى أن محمد - صلى الله عليه وسلم - مدين بفكرة فواتح السور، مثل: ألم، حم، طسم، إلخ، لتأثير أجنبي يرجح أن يكون يهوديًا، من خلال معاملة النبي مع اليهود، وقد ظن لوت أن هذه السور مدنية، ولكن في الحقيقة فإن سبعا وعشرين من السور التسع والعشرين التي تبدأ بحروف هي سور مكية.

-ويرى المستشرق بارت أنه على عكس معلومات محمد الغزيرة عن اليهودية الناتجة عن مخالطته لليهود، فإن معلوماته عن المسيحية قليلة، ولذلك جاءت معظم معلوماته عن المسيحية خاطئة مثل الاعتقاد بأن التثليث لا يعني (الآب والابن والروح القدس) بل يعني الله وعيسى ومريم، ويستنتج من ذلك أن محمد هو مؤلف القرآن وبالرغم من أن القرآن مليء بالمعلومات عن مريم وميلاد عيسى ونشأته ودعوته وحواريه إلا ان المستشرق تجاهل كل ذلك واعتمد على حجج واهية لا حظ لها من العلم ولا سند لها من المنطق.

-ويناقض بارت فيما ذهب إليه مستشرقون آخرون يرون أن معلومات محمد الكثيرة عن المسيحية استقاها من مقابلته للراهب بحيري عند رحلته للشام.

-وبفرض وجود التشابه بين القرآن والتوراة أو الإنجيل، فما المانع؟ أليس المصدر واحد، أليس مبدأ وحي السماء قائم، لماذا يحتكرون هذا المبدأ (الوحي) لليهودية والمسيحية فقط، ويرفضون كل ما عداهما؟

ج- رأيهم في تفسير حالة الوحي التي كانت تظهر على النبي:

-يتخبط المستشرقون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها النبي أثناء الوحي، من الرعشة والتعرق وغير ذلك:

-فمنهم من يفسرها بأنها كانت حالة صرع تنتاب النبي من حين لآخر.

-ومنهم من يرجعها إلى تخيلات كانت تملأ ذهن النبي صلى الله عليه وسلم.

-ومنهم من يفسرها بمرض نفسي.

-ولما كان كل المستشرقين يعترفون بأنبياء بني إسرائيل وهم أقل شأنا من محمد في التاريخ والرسالة والمبادئ التي قام عليها دينه، فإن إنكارهم لنبوته مبعثها التعصب الديني الذي يملأ نفوسهم كرهبان ورجال دين مسيحي.

د- رأيهم حول صحة النص القرآني:

-حاول المستشرقون استخدام الأسلوب القرآني الذي اتهم التوراة والإنجيل بالتحريف والتزوير، فزعموا أن القرآن الكريم تعرض للمصير نفسه، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى:

-فمنهم من ادعى في موضوع القراءات والأحرف السبعة أن قراءة القرآن كانت حرة طليقة الأمر الذي أدى إلى تعرض لقرآن للتزوير.

-وروج بعض المستشرقين لفكرة القراءة بالمعنى، وذهب إلى أن المسلمين الأوائل لم يكونوا يهتمون بالنص، بل بروح النص.

-إن اختلاف القراءات أمر لا ننكره، ولكن الذي لاشك فيه أن القرآن كان وحيًا باللفظ والمعنى معا، وقراءتها لم تكن متروكة لأهواء الناس، بل كانت محكومة بما يقرأه الرسول للناس من أوجه للقراءة كان القصد منها التخفيف على الناس.

-ولذلك كان الرسول حريص كل الحرص على تسجيله أولا بأول والعناية بحفظه، وكان عدد كتبة القرآن على عهد الرسول- صلى الله عليه وسلم- تسعة وعشرين صحابيًا.
-ولكن المستشرق بلاشير يرى أن فكرة تدوين الوحي لم تظهر إلا في المدينة، وأن التدوين كان جزئيًا ومثار اختلافات واعتراضات.
-وفي هذا السياق شكك المستشرقون في لغة النص القرآني، فزعموا أنها لا تتميز عن لغة الأدب الدنيوي بعصمة يقينية، مما أدى إلى اختلاطها بنصوص أدبية من غير القرآن، إلى حد أن ابن مسعود كان ينكر وجود سورة الفاتحة والمعوذتين في القرآن. ولكن هذا الرأي المنسوب إلى ابن مسعود هو رأي باطل من أساسه فنّده الفخر الرازي. كما اتفقت الآراء على أنه لم يصح عن ابن مسعود أنه قال هذا الكلام. كما أن لغة القرآن هي لغة متفردة، وقد تحدى بها القرآن العرب أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا.

-وإذا كانت كل الآراء السابقة مرفوضة ومتجنية، فإنها تبدو معقولة أمام الآراء المتطرفة التي تنضح حقدا وحسدا على القرآن، ومنها قول المستشرق دوزي : إن القرآن كتاب ذو ذوق رديء للغاية ولا جديد فيه إلا القليل، وفيه إطناب بالغ وممل إلى حد بعيد.
-ونحن لا نتعجب من مثل هذا القول عندما يأتي من حاقد أو حاسد، ولكننا فقط نتساءل: من أين له الحق في إطلاق ذلك الحكم على أسلوب القرآن وهو أجنبي لم يتعمق في اللغة كأهلها الذين امتدحوا لغة القرآن، حتى الكفار منهم، فقال عنه الوليد بن المغيرة: «والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يُعْلى عليه».

هـ - رأيهم حول خطورة القرآن الكريم:

-القرآن الكريم كتاب مقلق للغربيين ومحير لهم ومبلبل لأفكارهم، فيقول المستشرق بلاشير: «قلما وجدنا بين الكتب الدينية الشرقية كتابا بلبل بقراءته أدبنا الفكري أكثر مما فعله القرآن».
-والأمر ليس حيرة ولا بلبلة، بل شعور بخطورة القرآن على العالم الغربي، فتفرغوا للدس عليه والتحذير منه، وزعموا أنه يحتوي على مبادئ تقيم الدنيا ولا تقعدها، وأنه إذا تيسر لأهله فهم تلك المبادئ وتطبيقها تحكموا في العالم.
-فيقول وزير المستعمرات البريطاني أورومسبي غو: «إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تحذره وتحاربه».
-لذلك يصاب الغرب بحالة من الفزع كلما ظهر تيار إسلامي يدعو إلى صحوة إسلامية، وتعمد وسائل إعلامهم إلى مهاجمته وتشويهه ووصمه بالتطرف والإرهاب، كما يركزون على إقناع المسلمين بأن الوسيلة الوحيدة للنهوض هي باتباع أسلوب الغرب ومنهجه العلماني؛ لأن الإسلام في زعمهم دين جامد لم يعد يساير روح العصر.

المحاضرة العاشرة

نماذج من آراء المستشرقين حول السنة النبوية.
- نماذج من آراء المستشرقين حول الشريعة الإسلامية.
- نماذج من آراء المستشرقين حول الفلسفة الإسلامية.

أ- عوامل اهتمام المستشرقين بالتشكيك في السنة النبوية:

-السنة هي الأصل الثاني للإسلام، وتشمل السنة النبوية أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، وقد بينت القرآن وفسرته، فهي بالنسبة للقرآن «تفصيل مجمله، وبيان مشكله، وبسط مختصره».

-وقد اهتم المسلمون اهتماما عظيما بالسنة النبوية، بوصفها الأصل الثاني للإسلام، وكان هذا الفهم للسنة أمرا بديهيا عند الصحابة، يتضح ذلك من قول معاذ لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وسأله كيف تقضي فيهم، فقال: أقضي فيهم بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: فبسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد: قال أجتهد رأيي.

-فلما أدرك المستشرقون أن محاولاتهم التشكيك في القرآن الكريم قد فشلت، وكانوا كمن ينطح في الصخر؛ اتجهوا إلى السنة النبوية للتشكيك فيها.

-وقد ساعد المستشرقين على التشكيك في السنة النبوية أنها قد تعرضت لقدرٍ كبير من الدس والتحريف من صدر الإسلام. صحيح أن علماء المسلمين قد بذلوا جهودا جبارةً في تنقية الحديث الشريف مما أُدخل عليه، ووضعوا قواعد بالغة الدقة في التثبت والتحري والجرح والتعديل مما لم يعهد عند الغربيين في دياناتهم عشر معشاره؛ إلا أن المستشرقين قد تجاهلوا تلك الجهود الجبارة وتلك القواعد الدقيقة للجرح والتعديل والرواية والسند.

-والذي حملهم على المبالغة في التشكيك احتواء الحديث النبوي الصحيح الذي اعتمده علماء الحديث المسلمين على ثروة فكرية وتشريعية مدهشة، فادعوا ان هذه الثروة الضخمة لا يعقل أن تصدر كلها عن محمد الأمي، بل هي عمل مجموع علماء المسلمين خلال الثلاثة قرون الأولى للإسلام.

ب- رأي جولد تسيهر في السنة النبوية:

-كان المستشرق اليهودي جولد تسيهر هو أول مستشرق قام بمحاولة واسعة شاملة للتشكيك في السنة النبوية، وتناول في الجزء الثاني من كتابه (دراسات محمدية) موضوع تطور الحديث تطورا عميقا، ويتلخص رأيه حول السنة فيما يلي:

-كان جولد تسيهر يعتبر القسم الأكبر من الحديث النبوي ناتج عن تطور الإسلام الديني والتاريخي والاجتماعي في القرن الأول والثاني.

-يلخص المستشرق فانموللر رأي تسيهر فيقول: «إن الحديث بالنسبة له لا يعد وثيقة لتاريخ الإسلام في عهده الأول، عهد طفولته، وإنما هو أثر من آثار الجهود التي ظهرت في المجتمع الإسلامي في عصور المراحل الناضجة لتطور الإسلام، ويقدم جولد تسيهر مادة هائلة من الشواهد لمسار التطور الذي قطعة الإسلام في تلك العصور التي تم فيها تشكيله من بين القوى المتناقضة، والتباينات الهائلة حتى أصبح في صورته النسقية...».

-ويصور جولد تسيهر التطور التدريجي للحديث، فيزعم أنه قد تطور بمرور الوقت، ويصور كيف عملت على ذلك الأجيال المختلفة، وكيف راحت كل الأحزاب والاتجاهات في الإسلام تبحث عن إثبات لشرعيتها بالاستناد إلى مؤسس الإسلام، فأجرت على لسانه الأقوال التي تعبر عن شعاراتها.

-وهكذا يرى جولد تسيهر أنه تم اختراع كم هائل من الأحاديث في العصر الأموي عندما اشتدت الخصومة بين الأمويين والعلماء الصالحين، فيقول إنه في سبيل محاربة الطغيان والخروج عن الدين راح العلماء يخترعون الأحاديث التي تسعفهم في هذا الصدد، وفي الوقت نفسه راحت الحكومة الأموية تعمل في الاتجاه المضاد، وتضع أو تدعوا مؤيديها من العلماء- مثل محمد بن شهاب الزهري- إلى وضع أحاديث تساند وجهات نظرها.

ويركب جولد تسيهر متن الشطط في مذهبه هذا، فيزعم أن الأمر لم يتوقف على وضع أحاديث تخدم أغراضا سياسية، بل تعداه إلى النواحي الدينية في أمور العبادات التي لا تتفق مع ما يراه أهل المدينة.

-وقد تكفل العلماء المسلمين بالرد على مزاعم تسيهر، ولكننا نرد باختصار فنقول: نحن لا ننكر أن هناك أحاديث كثيرة نسبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصل لها، ولكن ذلك لم يكن خافيا على علماء الحديث المسلمين في يوم من الأيام، فلم يفرطوا إطلاقا في تنقية الحديث من الضعيف والموضوع، واعتمدوا في ذلك على نقد أخلاق الراوي، ووضعوا أسس علم الجرح والتعديل، وتتبعوا الرواة ودرسوا سيرتهم وما خفي من أمرهم وما ظهر، فلم يمر حديث واحد من تحت أيديهم إلا ونقدوه وعرفوا درجته من الصحة. وجولد تسيهر يعلم كل ذلك ولكنه تغافل عنه ولم يشر إليه.

-أما دعوى جولد تسيهر بأن القسم الأكبر من الحديث قد جاء نتيجة لتطور الإسلام السياسي والديني والاجتماعي، فهي دعوى باطلة لأن الإسلام قد اكتمل على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي)

-لم يتوقف المستشرقون عن حد التشكيك في القرآن الكريم والسنة النبوية، فقد حرصوا على تجريد المسلمين والعقل الإسلامي من كل القيم الإنسانية والحضارية والابتكارات العلمية، فشككوا في كل شيء، ومن ذلك تشكيكهم في أصول الشريعة الإسلامية.

-زعم المستشرقون أن الشريعة الإسلامية تأثرت بالقانون الروماني، ومن هؤلاء جولد تسيهر الذي يرى أن القانون الروماني هو المصدر الذي أقام عليه فقهاء المسلمون أساس الشريعة الإسلامية.

-ويرى المستشرق فولدون آموس أن الشريعة الإسلامية ليست إلا القانون الروماني معدلا، ويقول: «إن القانون المحمدي ليس إلا قانون جستنيان في لباس عربي».

-ودليلهم على ذلك: زعمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على معرفة واسعة بالقانون الروماني، وأن فقهاء المسلمين اطلعوا على القانون الروماني في البلاد التي كانت تحت حكم الرومان وفتحها المسلمون.

-وهذه الأدلة التي يستدلون بها باطلة لا تصمد أمام أي نقد علمي، فالرسول كان أميا لا يقرأ، فكيف اطلع على القانون الروماني، وقد زار الشام مرتين: الأولى مع عمه أبو طالب وعمره ١٢ سنة، والثانية في شبابه ولم يكن معه إلا تجار عرب خلص، ولم يقابل أحدا من فقهاء القانون الروماني، وليس هناك ما يدعوا فقهاء القانون الروماني إلى أن يحرصوا على تعليم ذلك الشاب العربي قواعد القانون الروماني.

-أما تعرف الفقهاء المسلمين على القانون الروماني من خلال المدارس والمحاكم الرومانية في البلاد المفتوحة فهو زعم باطل؛ لأن تلك المدارس كانت قد ألغيت بقرار إمبراطوري قبل الفتح الإسلامي بمئة عام.

-أما القول بالتشابه بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني فإنه لا يعني بالضرورة التأثر، لأن الظروف تتشابه والعقول تتشابه في كثير من أنواع التفكير. كما أن هذا التشابه ليس هو القاعدة فالخلافات بينهما كبيرة وأساسية في كثير من المبادئ والمصادر.

-حرص كثير من المستشرقين على تجريد العقلية الإسلامية من كل لون من ألوان الإبداع الفكري، فأنكروا على فلاسفة الإسلام الجدة والأصالة في تفكيرهم، وذهبوا إلى وصفهم بأنهم مجرد ناقلين للفلسفة اليونانية، وقامت دعواهم تلك على أساس عنصري يقسم الشعوب إلى ساميين وآريين،

فالساميين في نظرهم شعوب لا قدرة لها على التفكير الفلسفي وتناول الأمور العقلية المجردة على عكس الشعوب الآرية ومنهم اليونانيون.
-وكان المستشرق رينان هو أول من قرر هذا الرأي، وزعم أن الفلسفة العربية ما هي إلا فلسفة يونانية مكتوبة بحروف عربية.
-أما المستشرق كارل هينريش بيكر فذهب إلى ان الروح الإسلامية قائمة الطبيعة الخارجية، فتفنى الذوات الفردية في كلٍ لا تمييز فيه، فلا تتصور الأفكار إلا على الإجماع، أما الفلسفة اليونانية فقائمة على الفردية واحترام الذاتية، والفردية والذاتية هما محل النظر الفلسفي، ولذلك كان اليونان أقدر على التفلسف من المسلمين.

-أما جوتييه فذهب إلى أن الإسلام هو «دين سامي بحت، مفرق وموحد بأضيق المعاني، وغير عقلي، ولا يتفق والتفكير الحر».
-ونحن لا يعنينا نقد النظرية العنصرية التي تقسم الشعوب على أساس سامي وآري، فقد تلاشت بالفعل ولم يعد لها أنصار.
-ولكن يعنينا الرد على إقحامهم الإسلام في هذا الأمر ووصفه بأنه دين يعوق النظر العقلي، ولا يتفق والتفكير الحر. والحق أن العالم لم يعرف في تاريخه دينا يعلي من قيمة العقل ويدعو إلى التفكير مثل الإسلام، فقد كرم الله الإنسان بالعقل، وقد عول الإسلام على العقل في أمور العقيدة والمسئولية والتكليف، فالإسلام يعتبر عدم استخدام العقل خطيئة من كبار الخطايا، فالقرآن يحكي عن الكفار يوم القيامة قولهم: (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير).
-وقد دعا القرآنُ الناسَ إلى النظر في الكون والتأمل في ملكوت السموات والأرض، وحارب الدجل والشعوذة والخرافات والأوهام، وهكذا كفل الإسلام للعقل المناخ الحقيقي الذي يستطيع فيه أن يفكر ويتأمل.

المحاضرة الحادية عشرة

•سلبيات المستشرقين

•إيجابيات المستشرقين

١- جمود الأساليب والمنهج:

-الاستشراق لم يطور كثيراً في أساليبه ومناهجه. فلم يستطع في دراسته للإسلام أن أن يحرر نفسه تماماً من الخلفية الدينية للجدل اللاهوتي العقيم الذي انبثق منه الاستشراق أساساً.
-وهذا كله يحدث على الرغم من أن مجلس الفاتيكان قد أشاد في شهر أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٥م بالحقائق التي جاء بها الإسلام والتي تتعلق بالله وقدرته، ويسوع ومريم والأنبياء والمرسلين، وعلى الرغم أيضاً من قول المستشرق الألماني (بارت) من أن الدراسات الاستشراقية منذ منتصف القرن التاسع عشر تنحو نحو البحث عن الحقيقة الخالصة ولا تسعى إلى نوايا جانبية غير صافية.
-والغريب أن الهيئات العالمية مثل اليونسكو- وهي هيئة دولية تشترك فيها الدول الإسلامية- تستكتب المستشرقين، بوصفهم متخصصين في الإسلاميات، للكتابة عن الإسلام والمسلمين في الموسوعة الشاملة التي تصدرها اليونسكو عن (تاريخ الجنس البشري وتطوره الثقافي والعلمي). وقد أثارت كتاباتهم حفيظة المسلمين على مؤسسة اليونسكو . والمهم ما فيها من

مجافاة للحقائق التاريخية وتهجم على نبي الإسلام ، وكتب الكثيرون احتجاجات على هذه الإساءات التي ليست إلاّ وحياً لتقاليد موروثة، وامتداداً للروح الصليبي، وهو عمل كان ينبغي أن تتنزه عنه هذه المؤسسة الكبيرة

٢- الخلط بين الإسلام كدين وبين وضع المسلمين المتردي اليوم:

-يخلط الاستشراق كثيراً بين الإسلام كدين وتعاليم ثابتة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وبين الوضع المتردي للعالم الإسلامي في عالم اليوم.

فإسلام الكتاب والسنة يُعد في نظر مستشرق معاصر مثل (كيسلنج) إسلاماً ميتاً. أما الإسلام الذي يجب الاهتمام به ودراسته فهو ذلك الإسلام المنتشر بين فرق الدراويش في مختلف الأقطار الإسلامية، وهو تلك الممارسات السائدة في حياة المسلمين اليوم بصرف النظر عن اقترابها أو ابتعادها من الإسلام الأول

٣- الاهتمام بكل ما هو غريب وشاذ:

-يؤكد الاستشراق بوضوح ظاهر على أهمية الفرق المنشقة عن الإسلام كالبابية والبهائية والقاديانية والبكداشية وغيرها من فرق قديمة وحديثة، ويعمل على رفع مكانتها.

-يعمل على تعميق الخلاف بين السنة والشيعة.

-المستشرقون يعدون المنشقين عن الإسلام على الدوام أصحاب فكر ثوري تحريري عقلي، ودائماً يهتمون بكل غريب وشاذ، ودائماً يقيسون ما يرونه في العالم الإسلامي على ما لديهم من قوالب مصبوبة جامدة.

- وقد أشار المستشرق (رودنسون) إلى شيء من ذلك حين قال: (ولم ير المستشرقون في الشرق إلا ما كانوا يريدون رؤيته، فاهتموا كثيراً بالأشياء الصغيرة والغريبة، ولم يكونوا يريدون أن يتطور الشرق ليبلغ المرحلة التي بلغتها أوروبا، ومن ثم كانوا يكرهون النهضة فيه).

٤- الافتقاد إلى الموضوعية:

-يفتقد المرء الموضوعية في كتابات معظم المستشرقين عن الدين الإسلامي، في حين أنهم عندما يكتبون عن ديانات وضعية مثل البوذية والهندوكية وغيرهما يكونون موضوعيين في عرضهم لهذه الأديان. فالإسلام فقط من بين كل الديانات التي ظهرت في الشرق والغرب هو الذي يهاجم . والمسلمون فقط من بين الشرقيين جميعاً هم الذين يوصمون بشتى الأوصاف الدنيئة. ويتساءل المرء: لماذا؟

-ولعل تفسير ذلك يعود إلى أن الإسلام كان يمثل بالنسبة لأوروبا صدمة مستمرة. فقد كان الخوف من الإسلام هو القاعدة. وحتى نهاية القرن السابع عشر كان (الخطر العثماني) رابضاً عند حدود أوروبا ويمثل- في اعتقادهم- تهديداً مستمراً بالنسبة للمدنية النصرانية كلها. ومن هنا يمكن فهم ما يزعمه (موير) من (إن سيف محمد والقرآن هما أكثر الأعداء الذين عرفهم العالم حتى الان عناداً ضد الحضارة والحرية والحقيقة) .. وما يدَّعيه (فون جرونيباوم) من (إن الإسلام ظاهرة فريدة لا مثيل لها في أي دين آخر أو حضارة أخرى، فهو دين غير إنساني وغير قادر على التطور والمعرفة الموضوعية. وهو دين غير خلاق وغير علمي واستبدادي).

- وهكذا يتضح الحقد الدفين على الإسلام باستمرار بمثل هذه الافتراءات التي ليس لها في سوق العلم نصيب

٥- يعطي الاستشراق لنفسه حق الاتهام والحكم:

-يعطي الاستشراق لنفسه في دراسته للإسلام دور ممثل الاتهام والقاضي في الوقت نفسه، فبينما نجد مثلاً أن علم التاريخ يحاول أن يفهم فقط ولا يضع موضع الشك أسس المجتمع الذي يدرسه، نجد الاستشراق يعطي لنفسه حق الحكم بل وحتى الاتهام والرفض للأسس الإسلامية التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي.

وذلك ناتج عن نوايا مسبقة لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون نوايا علمية صافية كما يدعي المستشرق (رودي بارت).

٦- الاستشراق يفرق بين الشرق والغرب:

-يعد الاستشراق أسلوباً خاصاً في التفكير ينبني على تفرقة أساسية بين الشرق والغرب (فالشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا) كما قال الشاعر الاستعماري المشهور (كبلنج) فالغربيون عقليون ومحبون للسلام ومتحررون ومنطقيون وقادرون على اكتساب قيم حقيقية، أما الشرقيون فليس لهم من ذلك كله شيء.

ولكن هناك حقيقة هامة يتجاهلها المستشرقون ببساطة، وهي أن الحضارة الغربية- التي يصفونها باعتزاز بأنها حضارة نصرانية- مبنية في الأصل على تعاليم رجل شرقي وهو المسيح عليه السلام، وعلى ما نقلوه عن العرب من علوم عربية ومن تراث قديم تطور على أيدي العرب. وهذه الحقيقة تجعل هذه التفرقة المبدئية إلى شرق وغرب والتي يعتمد عليها الاستشراق أمراً مخالفاً للمنطق. فالنصرانية دين شرقي، والزعم بأن الغرب متقدم لأنه يدين بالنصرانية، والشرق متخلف لأنه يدين بالإسلام لا أساس له من العلم ولا من الواقع، فالتقدم الذي يشهده الغرب اليوم في مجال العلم والتكنولوجيا لا علاقة له بالنصرانية كدين، والتخلف الذي يعاني منه الشرق لا يتحمل الإسلام وزره فهذا التخلف يعد- كما يقول (مالك بن نبي): عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه لا لتمسكهم به كما يزعم الزاعمون.

٧- تطبيق المقاييس النصرانية على الدين الإسلامي:

-يعمد المستشرقون إلى تطبيق المقاييس النصرانية على الدين الإسلامي وعلى نبيه صلى الله عليه وسلم، فالمسيح في نظر النصارى هو أساس العقيدة، ولهذا تنسب النصرانية إليه (مسيحية) وقد طبق المستشرقون ذلك على الإسلام واعتبروا أن محمداً صلى الله عليه وسلم يعني بالنسبة للمسلمين ما يعنيه المسيح بالنسبة للنصرانية، ولهذا أطلقوا على الإسلام اسم (المذهب المحمدي) أو (الديانة المحمدية) وأطلقوا على المسلمين وصف (المحمديين)

-ولكن هناك سبباً آخر لاستخدام هذا الوصف لدى الكثيرين منهم وهو إعطاء الانطباع بأن الإسلام دين بشري من صنع محمد وليس من عند الله، أما نسبة النصرانية إلى المسيح فلا تعطي هذا الانطباع لديهم لاعتقادهم بأن المسيح ابن الله.

-وتتم مقارنة أخرى بين محمد والمسيح، يكون المسيح فيها هو المقياس. فمحمد مزواج وشهواني في مقابل المسيح العفيف الذي لم يتزوج، ومحمد محارب وسياسي أما يسوع مسالم مغلوب على أمره ومعذب يدعو إلى محبة الأعداء وهكذا.

قام المستشرقون ببعض الأعمال المهمة التي يجب علينا أن نتعرف بها فمنها:

-ظهور بعض المستشرقين المنصفين أمثال المستشرقة الألمانية (زيجريد هونكه) صاحبة كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب).

-قيام المستشرقين بتجميع أكبر عدد من كتب التراث العربي والمخطوطات العربية في مكتبات الجامعات والمعاهد الأوربية.

-نشر كثير من كتب التراث العربي ووضع أسس منهج تحقيق المخطوطات.

-وضع موسوعة (تاريخ الأدب العربي) لكارل بروكلمان التي جمع فيها كل ما أنتجه العقل العربي من علوم وفنون منذ ظهور الإسلام حتى نهاية القرن التاسع عشر.

-وضع معاجم مفهرسة للقرآن الكريم والحديث النبوي غير مسبوقة.

المحاضرة الثانية عشرة

•من حسن الحظ ان أغلب أعمال المستشرقين جاءت في صورة هجوم على الإسلام والمسلمين، لأن المدح قد يكون له تأثير تخديري يجعلنا نركن إلى الدعة والخمول، ونغفل الرد على ما في كلامهم من أكاذيب، أما وقد جاءت كتاباتهم في هذه الصورة المتحاملة، فقد أدى ذلك إلى قيام كثير من أبناء المسلمين بالرد على الاستشراق، ولكن لم يحدث أن تجمعت الجهود لتكثيف النشاط أو القيام بعمل كبير يواجه به المستشرقون،

• ولعل أهم الجهود التي يجب علينا أن نقوم بها النقاط التالية:

•موسوعة الرد على المستشرقين.
•مؤسسة إسلامية علمية عالمية.
•دائرة معارف إسلامية جديدة.
•جهاز عالمي للدعوة الإسلامية.
•ترجمة إسلامية لمعاني القرآن الكريم.
•تنقية التراث الإسلامي.
•الحضور الإسلامي في الغرب.
•الحوار مع المستشرقين المعتدلين.
•دار نشر إسلامية عالمية.

-إن المواجهة الفكرية الجادة - كما سبق أن أشرنا - هي الطريق الصحيح لمجابهة أية تيارات مناوئة للإسلام والمسلمين، ومن أجل ذلك ينبغي علينا أن ننظر إلى حركة الاستشراق بكل جدية، ونأخذ في الحسبان أن لها آثاراً كبيرة على قطاعات عريضة من المثقفين في العالم الإسلامي وفي العالم الغربي على السواء .

-ولهذا لا بد من التوفر على دراسة الاستشراق دراسة عميقة . ولا يكفي أن نقول : إن ما يكتبونه كلام فارغ. فهذا الكلام الفارغ مكتوب بشتي اللغات الحية ومنتشر انتشارا واسعاً على المستوى العالمي. ومواجهته لا بد أن تكون على المستوى العالمي نفسه.

-لقد دعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في القاهرة في نهاية عام ١٩٧٩م إلى ندوة لمناقشة موضوع إعداد (موسوعة للرد على المستشرقين).

أسلوب التناول:

-ليس هناك ما يدعو للحديث عن موضوعات لم يتطرق المستشرقون للخوض فيها بالرفض أو بالقبول إذ ليس الهدف هنا هو التاريخ الكامل للحضارة الإسلامية .

-من المعروف أن المستشرقين لا يشكلون اتجاهاً واحداً في كل المسائل الإسلامي التي تعرضوا لها، فهناك مسائل يختلفون فيها بين مؤيد ومعارض، ولذلك ينبغي إبراز ردود المستشرقين على بعضهم الآخر بصدد بعض الشبهات التي أثاروها حول الإسلام والحضارة الإسلامية.

خطوات تحضير المادة ومراحلها:

-القيام بحصر شامل لكتابات المستشرقين عن المجالات سالفة الذكر في القرنين التاسع عشر والعشرين بصفة أساسية باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية والإيطالية والروسية، ويشمل هذا الحصر الكتب والمجلات والدوريات.

- لا بد من توفير كل الأعمال الاستشراقية المشار إليها عن طريق الشراء إذا كانت متوفرة أوعن طريق التصوير إذا لم يمكن شراؤها . وتشكل هذه الأعمال مكتبة استشراقية تكون تحت أيدي الخبراء والعلماء الذين يشتركون في إعداد الموسوعة.

جمع المادة العلمية والرد عليها:

-يقوم جهاز متعاون من الخبراء في اللغات الست المشار إليها بتحضير المادة وتصنيف الموضوعات وضم المادة التي يتكرر الحديث عنها في لغات مختلفة تحت موضوع واحد حتى يتم الرد عليها جملة واحدة.
-تقدم المادة للعلماء الذين سيقومون بإعداد الردود العلمية. ويراعى عند تقديم هذه المادة لهم أن تترجم لهم الأفكار الأساسية للقضايا المطلوب الكتابة فيها من اللغات التي لا يجيدون القراءة بها حتى يكون لديهم تصور شامل لكل ما قيل حول القضية المطروحة وحتى يغطي التناول للموضوع وجهات النظر التي قيلت فيه.

الإعداد والتحرير :

-يحتاج هذا العمل الموسوعي الضخم إلى عدد كبير من العلماء المسلمين في التخصصات المختلفة يطلب منهم الكتابة في موضوعات محددة حسب المادة التي تقدم إليهم، كل في مجال تخصصه، على أن يكون الرد فيها وافياً بعيداً عن التطويل الممل أو الإيجاز المخل، وطبيعة الموضوعات هي التي ستحدد حجم الردود المطلوبة، وتوضح خطة زمنية أقصاها ستة اشهر لوصول الرد.
-يتم تحرير الموضوعات باللغة العربية وفي الحالات التي لا يجيد فيها أحد العلماء المسلمين اللغة العربية يمكن الكتابة بإحدى اللغات الأجنبية على أن يتم ترجمة الموضوع إلى اللغة العربية فور وصوله

المراجعة والتدقيق:

-عند وصول رد من الردود يحال إلى لجنة مختصة بالمراجعة والتدقيق تنحصر مهمتها في فحص الرد من جميع جوانبه الدينية والعلمية والتاريخية.. الخ. ومدى وفائه بالغرض المطلوب وهو استيعابه التام للرد على الشبهة المراد الرد عليها وتفنيد حججها بالأدلة الدامغة.

الطباعة والنشر والترجمة:

-يتم إعداد الموسوعة للطباعة في إطار مجال من مجالات فروع العلوم الإسلامية والفكر الإسلامي السابق الإشارة إليها، وفي الوقت نفسه تبدأ مجموعة من الخبراء في ترجمته إلى اللغات الأجنبية الست التي سبقت الإشارة إليها. ويمكن أن يتم النشر في وقت واحد باللغة العربية وهذه اللغات الأجنبية . ولعل في ذلك فائدة أكثر ونفعاً أعم .
-يكون هناك مجلس للأمناء يضم اللجنة العلمية الدائمة والأمانة الفنية والأمانة المالية ويقوم هذا المجلس بالتنسيق بين الأجهزة المختلفة المشرفة على المشروع . ويجتمع هذا المجلس مرة واحدة كل ستة أشهر لدراسة تقرير شامل يقدم إليه عن سير العمل في المشروع ومدى التقدم فيه ووضع الحلول لما قد يكون هناك من مشكلات تعوق سير التنفيذ.
-ولكن هذا المشروع لم يصدر حتى الآن.
-لقد آن الأوان للتفكير- على مستوى العالم الإسلامي- في إقامة مؤسسة إسلامية علمية عالمية لا تنتمي بالولاء لقُطر معين من الأقطار الإسلامية ولا لمذهب سياسي أو فكري أو ديني معين، بل يكون ولاؤها الأول والأخير لله وحده ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وتستطيع استقطاب الكفاءات العلمية الإسلامية في شتى أنحاء العالم، وتقف على قدم المساواة مع الحركة الاستشراقية ويكون لها دوريات ومجلات علمية ذات مستوى رفيع تنشر بحوثها بلغات مختلفة، وتعمل على استعادة أصالتنا الفكرية واستقلالنا في ميدان الأفكار، فهذا هو الطريق الصحيح إلى الاستقلال الاقتصادي والسياسي، وإذ أن المجتمع الذي لا يصنع أفكاره الرئيسة لا يمكنه على أية حال أن يصنع المنتجات الضرورية لاستهلاكه ولا المنتجات الضرورية لتصنيعه.
-والأمر الذي يؤسف له حقاً هو أننا على امتداد العالم الإسلامي بسكانه الذين تجاوزوا الألف مليون وبكل ما لنا من إمكانية هائلة لا نملك مؤسسة علمية دولية لها الإمكانات العلمية والمادية نفسها التي تملكها المؤسسة الاستشراقية. أليس هذا من الأمور التي تدعو إلى الأسى والحسرة؟

-وهكذا يمكن لمثل هذه المؤسسة أن تقف بالمرصاد لكل التيارات المناوئة للإسلام أياً كان مصدرها، وأياً كانت اتجاهاتها. ومن أجل ذلك لا بد أن يكون لها جهاز لمتابعة كل ما ينشر في العالم من بحوث تتعلق بالإسلام والمسلمين. ويمكن لهذه المؤسسة أيضاً أن تتبنى تياراً للاستشراق يقوم بدراسة تراث الغربيين ونقدهم من دين وعلوم وحضارة

-ومن بين الأولويات العلمية الملحة مشروع إصدار دائرة معارف إسلامية جديدة. فلا يجوز أن نظل نقتات فكرياً من دائرة المعارف الإسلامية التي قام بإعدادها المستشرقون قبل الحرب العالمية الثانية. فقد تجاوزها المستشرقون وانتهوا منذ بضع سنوات من إصدار دائرة إسلامية جديدة.

-وواجبنا نحن المسلمين أن نقوم بإصدار دائرة معارف إسلامية باللغة العربية واللغات الأوروبية الرئيسة، تقف على الأقل في مستوى دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين تخطيطاً وتنظيماً وتتفوق عليها علمياً، وتنقل وجهة النظر الإسلامية في شتى فروع الدراسات الإسلامية والعربية إلى المسلمين وغير المسلمين على السواء. فكل فراغ فكري لدينا لا نشغله بأفكار من عندنا يكون عرضة للاستجابة لأفكار منافية، وربما معادية لأفكارنا، فلا نلومن إلاّ أنفسنا.

-وينبغي ألا يغيب عن الأذهان أن دائرة المعارف الإسلامية المقترحة تختلف عن (موسوعة الرد على المستشرقين). فالموسوعة محدودة في إطار الرد على شبهات معينة أثارها المستشرقون، ومناقشة هذه الشبهات وتفنيدها. أما دائرة المعارف الإسلامية المطلوبة فهي عامة وشاملة لكل جوانب الإسلام والفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية بوجه عام .

-بالإضافة إلى ذلك يمكن إصدار موسوعات أخرى متخصصة مثل موسوعة للفقه الإسلامي وموسوعة للحديث النبوي وموسوعة للتاريخ الإسلامي .. الخ

المحاضرة الثالثة عشرة

- موسوعة الرد على المستشرقين.
- مؤسسة إسلامية علمية عالمية.
- دائرة معارف إسلامية جديدة.
- جهاز عالمي للدعوة الإسلامية.
- ترجمة إسلامية لمعاني القرآن الكريم.
- تنقية التراث الإسلامي.
- الحضور الإسلامي في الغرب.
- الحوار مع المستشرقين المعتدلين.
- دار نشر إسلامية عالمية.

-ومن الأمور الملحة أيضاً في مجال العمل الإسلامي ضرورة إنشاء مؤسسة إسلامية تبشيرية، وأعني بذلك جهاز للدعوة الإسلامية في الخارج : يدعو للإسلام من ناحية، ويرعى المسلمين الجدد من ناحية ثانية، ويحمي المسلمين بالوراثة من ناحية ثالثة. ويتطلب العمل الإسلامي أيضاً إصدار سلسلة كتب إسلامية باللغات العالمية الحية تصحح التصورات الخاطئة عن الإسلام في الأذهان ، وتعرض الإسلام بأسلوب علمي يتناسب مع العقلية المعاصرة، وتقدم الحلول الإسلامية لمشكلات المسلمين العصرية.

-ومن الممكن في هذا الصدد الاستفادة بأفكار وخبرات الشخصيات الغربية الواعية التي اعتنقت الإسلام، والاتفاق معها على خطتي عمل إحداهما عاجلة والأخرى طويلة الأمد، لنشر الإسلام والثقافة الإسلامية في الغرب.

-وقد أشار المفكر الفرنسي (جارودي) - الذي أسلم حديثاً - في محاضرته التي ألقاها في كل من جامعة الملك عبد العزيز بجدة وفي جامعة قطر بالدوحة سنة ١٩٨٣م بعنوان (الإسلام وأزمة الغرب)، أشار إلى الحاجة الملحة لنشر الإسلام والثقافة الإسلامية في الغرب.
-وتحدث (جارودي) عن بعض الأفكار في هذا الصدد في أثناء حديثه عن كشف أساليب التضليل الصهيوني. فكان مما قال : (إن عملنا فيما يتعلق بشرح مفهوم الصهيونية وأهدافها وطرق عملها يجب ألا يقتصر على الجانب السياسي فقط، بل يجب أن يشمل الجانب الروحي أيضاً. فعلينا أن نقاوم العنصرية القبلية بكونية الإسلام، وإن هدفنا هو أن نظهر للغربيين كيف أن الإسلام هو الوحيد اليوم القادر على فتح طريق أمام المستقبل خارج النمطين الأمريكي الرأسمالي والاشتراكي السوفييتي اللذان آلا إلى طريق مسدود، وأن يجنبنا حرباً نووية قد تؤدي بالكون إلى الهلاك المحقق .. إنني أعتقد أن وعيي بأن هذا الضلال الغربي المؤدي بالعالم إلى الهلاك وفي الوقت نفسه شعوري بإمكانات الإسلام قد هداني إلى تأليف كتابي الأخير (تباشير الإسلام)، وأن أضع في الخط الأول المعركة ضد التضليل الصهيوني وأن أعتنق الإسلام.
-ويرى (جارودي) ضرورة الاستعانة في هذا الصدد بالعديد من الوسائل عن طريق الحضور المستمر في وسائل الإعلام الغربية، ونشر الكتب المبسطة التي تكون في متناول الجميع، أو تنظيم المعارض وإقامة المهرجانات وغيرها مما يساهم في انتشار الإيمان وثقافة الإسلام.
-وقد أشرت هنا إلى جارودي كأحد الأمثلة للشخصيات الغربية التي يمكن التعاون معها على أساس أن الغربي المسلم الذي ولد ونما وعاش في الغرب وتثقف بالثقافة الغربية أقدر من غيره على فهم نفسية الغربيين وما يشعرون به من أزمات روحية، وما يتطلعون إليه من حلول، وأقدر أيضاً على معرفة الأساليب التي يمكن أن يكون لها تأثير في نفوسهم وعقولهم.
-لعلنا نتخذ العبرة من النشاطات السرية والمكشوفة لمؤسسات التنصير في شتى أنحاء العالم والتي توجه معظم نشاطها إلى تنصير المسلمين، مستغلة ما يعانيه كثير من التجمعات الإسلامية في أماكن كثيرة من بلاد العالم الإسلامي من جوع وحرمان ومرض وجهل . فهل نترك هؤلاء المسلمين يسقطون يوماً بعد يوم في أيدي بعثات التنصير ونحن نتفرج مكتفين بأضعف الإيمان؟
-إنه لأمر يدعو إلى الدهشة والغرابة أن يترك المسلمون كتابهم المقدس نهباً لكل من هب ودب لترجمته ولا يحركون ساكناً أمام عشرات الترجمات للقرآن في كل لغات العالم. وفي كل لغة من اللغات الأوروبية نجد العديد من الترجمات القديمة والحديثة .
وفي الجانب الآخر يهتم النصارى بترجمة كتابهم إلى كل لغات البشر. ولم نسمع عن ترجمات للكتاب المقدس قام بها أناس من غير النصارى. أما نحن فقرآننا كلأ مباح لكل من يريد ترجمته وتحريفه، وشغلنا عن ذلك بمناقشات أضعنا فيها الكثير من الوقت حول جواز أو عدم جواز ترجمة القرآن.
-وقد كان الشيخ محمد مصطفى المراغي من أشد المتحمسين لموضوع ترجمة معاني القرآن عندما كان شيخاً للأزهر، وتقدم بمذكرة إلى مجلس الوزراء المصري في عام ١٩٣٦ يقترح فيها ترجمة رسمية يقوم بها الأزهر بمساعدة وزارة المعارف، وذلك حتى يمكن أن تقف هذه الترجمة الرسمية في وجه الترجمات العديدة المنتشرة في العالم شرقاً وغرباً، والمليئة بالأخطاء .
-وقد وافق مجلس الوزراء على ذلك في ١٩٣٦م، ولكن الشيخ الظواهري وقف على رأس المناهضين لهذا المشروع ورأى (أن الطريق السليم لمناهضة هذه الترجمات غير الصحيحة هو مصادرة هذه الترجمات وطلب جمعها وإتلافها من جميع حكومات العالم، وهذا مطلب غريب لا يمكن تحقيقه بأي حال من الأحوال. وهكذا وئدت الفكرة في مهدها، ولم نفعل شيئاً من أجل المسلمين في شتى أنحاء العالم من غير الناطقين بالعربية، والذين يتحدثون مئات اللغات المختلفة في كل قارات العالم.

-وعندما تولى الدكتور حمدي زقزوق منصب وزير الأوقاف في مصر أشرف على ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية، صدرت عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في مصر، ثم توالت الترجمات بعد من السعودية وبعض البلاد العربية.
-تراثنا العربي الإسلامي يعد أغنى تراث في العالم، وهو تراث نعتز به ولا يجوز لنا أن نفرط فيه. ونعني بالتراث كل إنتاج بشري للمسلمين في شتى مجالات الأدب أو اللغة أو الفكر أو الدين أو العلوم بصفة عامة أو الفنون المختلفة. وتنبع أهمية هذا التراث من أنه يمثل الإطار الذي يحدد للعرب والمسلمين هوية معينة وصبغة متميزة، ويمثل الخلفية الفكرية لتصوراتهم وأفهامهم لكل مجالات الحياة. ويعطي لهم الركيزة الأساسية للأيديولوجية الخاصة التي يتميزون بها بين الأمم. وكل ذلك مرتكز بطبيعة الحال على أسس إسلامية راسخة.
-والاهتمام بهذا التراث لا يعني مجرد التغني بالأمجاد أو اجترار الذكريات وإنما يعني البحث عن الجذور الحقيقية للشخصية العربية الإسلامية واستعادة الأمة العربية الإسلامية للثقة بنفسها وأمجادها وقدرتها على البناء والتطور الحضاري، حتى تسير بخطى ثابتة على أرض صلبة مستندة على رصيد حضاري ضخم.
-ولكن تراثنا العربي الإسلامي - شأنه شأن كل جهد بشري - يشتمل على الغث والسمين ويتضمن جوانب إيجابية وأخرى سلبية، الأمر الذي يعطي الفرصة لبعضهم في تغليب الجانب السلبي على الجانب الإيجابي في بعض الأحوال.
-والواجب الإسلامي يقتضينا أن نعمل على تنقية هذا التراث العظيم وغربلته حتى يكون غذاءً فكرياً صالحاً يمد المسلم بأسباب القوة التي تعينه على النهوض مرة أخرى.
-وكلنا يعلم أن هذا التراث يشتمل على الكثير من الخرافات والأوهام والإسرائيليات. وعلى الرغم من أن الإسلام لا يتحمل وزر ذلك كله، فإن المستشرقين يستخدمون تراثنا بكل ما فيه، ويعمد الكثيرون منهم إلى البحث عن تلك الجوانب السلبية والتركيز عليها، ظناً منهم أنهم بذلك قد عثروا على نقاط الضعف في الإسلام ذاته. ويكفي أن نشير إلى مثال واحد هو قصة الغرانيق المذكورة في بعض كتب التراث، وهي قصة يعلم الله أن الإسلام برئ منها. ولكن المستشرقين قد ركزوا عليها وسلطوا عليها الأضواء من كل جانب واعتبروها نقطة ضعف في التوحيد الإسلامي الذي زعموا أنه كان على استعداد أن يتخلى عن تشدده مجاملة لمشركي مكة فإذا اتهمنا المستشرقين بالتجني، حق لهم أن يردوا الاتهام قائلين: نحن لم نخترع شيئاً من عندنا، أليست القصة ورادة في بعض مصادركم المعتمدة؟
-وتنقية التراث يمكن أن يوكل أمرها إلى المؤسسة العلمية الإسلامية التي سبق أن أشرنا إليها، على أن يكون لديها في هذا الصدد خطة عمل تراعي أيضاً الأولويات الملحة، فيما يتعلق بتحقيق كتب التراث ونشرها.
-إن الحضور الإسلامي في المؤسسات العلمية في الغرب ضعيف جداً إن لم يكن معدوماً، وليست هناك أهمية إسلامية كبيرة للكثيرين من أبناء العالم الإسلامي الذين يساعدون في التدريس في تلك المؤسسات نظراً لأنهم لا يستطيعون- إلا فيما ندر- أن يصرحوا بوجهات نظر تتعارض مع وجهات النظر الاستشراقية حول الإسلام حتى لا يفقدوا وظائفهم هناك.
-وعلى الرغم من كثرة عددهم مثلاً في جامعات الولايات المتحدة الأمريكية فإنه ليس لهم نفوذ يذكر هناك لأن النفوذ كله في أيدي الغربيين.
-والحل يتمثل في:
١- تقوية الحضور الإسلامي في المؤسسات الأكاديمية في الغرب، وذلك بمحاولة اقتحام مجالات تدريس العلوم العربية والإسلامية في الغرب عن طريق الاتفاقيات الثقافية التي تعقد بين بلدان

العالم الإسلامي ودول أوروبا وأمريكا، وذلك بإرسال أساتذة أكفاء من الأقطار الإسلامية إلى معاقل الاستشراق للتدريس فيها.
٢- إنشاء معاهد أو مراكز بحوث إسلامية في أوروبا وأمريكا على غرار المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، على أن يكون لهذه المراكز منشورات علمية تزود الغرب بالمعلومات الصحيحة وتسهم في تصحيح التصورات الخاطئة ـ عن الإسلام في أوروبا وأمريكا.

-من المفيد جداً أن يكون للمؤسسات العلمية الإسلامية صلات بالمستشرقين المعتدلين إلى إجراء حوار مستمر معهم وعقد لقاءات وندوات تجمع بينهم وبين العلماء المسلمين.
-وليس هناك شك في أن مثل هذا الحوار سيكون له أثره الإيجابي على كلا الجانبين. فمن ناحية سيكون دعماً لمواقف هؤلاء المستشرقين وتقوية لجانبهم وتشجيعاً لاتجاهاتهم بهدف أن تصبح هذه الاتجاهات المعتدلة في يوم من الأيام تياراً عاماً في الغرب يكون له تأثيره الفعال في تصحيح الصورة الخاطئة عن الإسلام في العالم الغربي. ومن ناحية أخرى سيكون من نتائج هذا الحوار ترشيد المثقفين المسلمين المتأثرين بأفكار استشراقية سلبية والتخفيف من حدة اندفاعهم وتقليدهم لهذه الأفكار وإعادتهم إلى المواقف الإسلامية الصحيحة.
-لقد أصبحت الحاجة ملحة إلى إنشاء دار نشر إسلامية عالمية تقوم بنشر المطبوعات الإسلامية بكافة اللغات، حتى لا تظل المطبوعات الإسلامية باللغات الأجنبية تحت رحمة الناشر في الغرب.
-وأقرب الأمثلة على ذلك أن المفكر الفرنسي المسلم (جارودي) يجد الآن صعوبة في نشر كتاب يفضح فيه ادعاءات الصهيونية بعنوان (ملف إسرائيل بين أحلام وأكاذيب الصهيونية). والمعروف أن دور النشر في فرنسا كانت تتلقف كل ما يكتبه جارودي لتنشره على نطاق واسع في أوروبا وأمريكا. ولكن إسلامه وتعاطفه مع قضية العرب والمسلمين قد غير الوضع.
-ويمكن أن تقوم هذه الدار المقترحة أيضاً بإصدار صحف ومجلات إسلامية بلغات مختلفة، وتكون هذه الصحف والمجلات وسيلة للربط بين المسلمين في كل مكان: تعمل على تجميعهم وتوحيد صفوفهم وتعريفهم بقضايا إسلامهم وإعلامية بأخبار بعضهم بعضا من مصادر صحية.

المحاضرة الرابعة عشرة

١- نوعية الأسئلة.
٢- مدة الامتحان وتقسيم الوقت.
٤- نماذج من الأسئلة.

-صدرت التعليمات بأن تكون الأسئلة في امتحان الاستشراق مقالية.
-عدد الأسئلة في الامتحان عشرة أسئلة.
-الإجابة تكون في ورقة الأسئلة نفسها.

-مدة الامتحان ساعتان (١٢٠ دقيقة).
-عدد الأسئلة عشرة أسئلة، ومتوسط إجابة كل سؤال ١٢ دقيقة.
-بعض الأسئلة طويلة نسبيا يحتاج إلى ١٤ أو ١٥ دقيقة، وبعضها قصير نسبيا يحتاج إلى ٧ أو ٨ دقائق.

-الأفضل توزيع الوقت بحيث يكون لكل سؤال حوالي عشر دقائق، ثم تخصيص ٢٠ دقيقة للمراجعة.
-على الطالب معرفة المطلوب بالضبط من السؤال حتى لا يضيع الوقت في إجابة غير مطلوبة، فإذا كان السؤال يسأل عن قضية معينة (باختصار) فهو يطلب عناصر تلك القضية فقط لأن تفاصيلها كثيرة تحتاج إلى أكثر من نصف ساعة مثلا، أما إذا سأل عن قضية ما (بالتفصيل) فالمؤكد أن تفاصيلها قليلة تحتاج إلى حوالي عشر دقائق.

-أغلب الأسئلة تكون إجاباتها منسقة وواضحة في الشرائح.
-بإمكانكم الرجوع إلى الكتاب لكنه لا يغطي كل متطلبات المقرر.
-فمثلا سؤال عن (الاستشراق الكنسي) تجد له شريحة واضحة ومنسقة هي الإجابة فلا يوجد مجال هنا للاختصار.
-سؤال عن (دوافع الاستشراق) هذا يحتاج إلى عناصر فقط لأن دوافع الاستشراق هذه كانت محاضرة كاملة ولكن المطلوب من السؤال أن نتأكد من فهمك للدوافع وعناصرها المختلفة.
-سؤال عن (الدوافع الدينية للاستشراق) هذا يحتاج إلى تفصيل جزئي لأنه وردت في المحاضرات في أربع شرائح تحتاج إلى أكثر من ربع ساعة، فالمطلوب ذكر كل نوع من الدوافع الدينية مع شرحه في حوالي سطرين (الطعن في الإسلام – صرف نظر فلاسفة الغرب عن نقد المسيحية- التنصير – اليهود الاستشراق).

والحمد لله رب العالمين
لاتنسوني من صالح الدعاء
اخوكم فلاح العدواني